موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٢٦)

الرحمة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

دار رواح للنشر والتوزيع

(ح) مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-٢١١-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٦)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-٢١١-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٦)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
الرحمة لغةً	٧
الرحمة اصطلاحًا	٧
معنى الرحمة	٨
تكون المزايا الأخلاقية	١٢
الرحمة بمعناها الاجتماعي	١٨
معاني الرحمة في أمثال العرب	٢٦
دروس في الرحمة	٣٢
الرحمة والشفقة في أحاديث النبي ﷺ	٤٣
أهل الرحمة	٤٥
الرحمة في نفس الرسول ﷺ	٤٩
الرحمة في نفس العربي	٥٢
الرحمة في الشعر	٥٩
الشفقة	٦٩
قيمة الرحمة في الحياة الاجتماعية	٧٥
قيمة الرحمة في حياة الفرد	٧٧
أثر الرحمة في التربية وتنشئة الأجيال الجديدة	٧٨
الفهارس	٨٧

موقع المكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

الرحمة شعور سام وقيمة أخلاقية تربط الإنسان بمن حوله بحس رقيق فياض بالحب والخير والتواصل الإنساني، وطبيعتها انجذاب وجداني نحو الآخر تثيره مواقف الحب والعطف المركوز في نفس البشر وفي تركيب طبعه وتواصله مع من يحيط به. لكنه تواصل شفاف غير عادي بين من يتصف طبعه بالرحمة ومن يتوجه إليه الطبع بها.

وعلى الرغم من أن نقطة ارتكاز الرحمة وشدة ظهورها تحددها علاقات إنسانية حميمة معهودة فإن مجال الرحمة دائرة واسعة تنداح فيها عندما تجد طريقها الميسر إلى التفاعل الإنساني النظيف، فتشع معانيها على مساحة واسعة من البيئة المحيطة. ولا شك أن المجتمع الذي تنشأ فيه أواصر الرحمة وعلاقاتها مجتمع تتسع فيه حركة الرحمة ومسارها في الأرض.

ولعل أبلغ دلالة على القيمة المطلقة للرحمة أنها اسم اتصف به الخالق سبحانه، فالله هو الرحمن الرحيم ورحمته ظاهرة متجلية في شتى بدائع خلقه.

فكانت رحمة الإنسان أحد وجوه الرحمة الإلهية الشاملة التي لا تخص البشر والأقربين وحدهم ولكنها تعم حتى الحيوان الأبكم.

ولما كانت الرحمة موصولة بالرحمن الرحيم امتدت واتسعت باتساع رحمته وشمول رفقه وعفوه.

ولقد كانت الرحمة خلقًا اتصف العرب به وقيمة حافظ عليها المجتمع العربي ومجد أصحابها والمتصفين بها، فصار لها صدى كبير في حياتهم، وأصبحت إحدى مفاخرهم، وهي غاية الإنسان السوي، وطموحه الفطري حين يكون شعوره برًا بمن حوله ورحمة يشمل بها كل من يعامله أو يراه أو يتصل به.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الرحمة لغة[1]:

نقول رحِمَ: رحمنا الله وأنالنا رحمته التي وسعت كل شيء ورحمت زيدًا رُحْمًا ورَحمةً ومرحَمَةً: إذا رققت له وحننت عليه. والفاعل راحم، وفي المبالغة رحيم، وجمعه رُحَمَاء. وفي الحديث «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»، والرَحِم: موضع تكوين الولد ويخفف بسكون الحاء مع فتح الراء ومع كسرها أيضًا: وفي لغة تُكسر الحاء إتباعًا لكسرة الراء، ثم سمّيت القرابة والوصْلة من جهة الولاء رَحِمًا، فالرَحِمُ خلاف الأجنبي، والرَحِمُ أنثى في المعنيين، وقيل مذكّرَ وهو الأكثر في القرابة.

رحم: أصل واحد على الرقة والعطف والرأفة. يقال من ذلك: رَحِمَهُ، يَرْحَمُهُ: إذا رقّ له وتَعَطّفَ عليه، والرُحْمُ والرّحْمَة والمرْحَمَة: بمعنى واحد، والرَّحِمُ، علاقة القرابة، ثم سُمّيت رَحِمُ الأنثى رَحِمًا من هذا، لأن منها يكون ما يُرْحَمُ ويُرِقُّ له من ولد.

ومن اشتقاقها: رَحْمان من الرحمة، ورَحيم فَعيل منها، والرحمن صفة منفردة لله تبارك وتعالى، لا يوصف بها غيره، ألا ترى أنك تقول: رجل رحيم القلب، وكن بي رحيمًا، ولا يقال: كن بي رحمانًا. والدليل على ذلك: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾[2]، فأضاف الرحمن إلى اسمه عزّ وجل.

الرحمة اصطلاحًا:

الرحمة الرقة والتعطف، وقد رحمته وترحّمت عليه، وتراحم القوم، رَحِمَ بعضهم بعضًا، والرحمة: المغفرة؛ ومثل قوله تعالى في وصف القرآن ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، منشورات دار صادر، لبنان، بيروت، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، انظر: مادة رَحِمَ.

[2] سورة الإسراء: ١١٠.

www.mtenback.com

يُؤْمِنُونَ﴾[٣] أي فصّلْناه هاديًا وذا رحمة؛ وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤] أي هو رحمة لأنه كان سبب إيمانهم، وقال الله عزّ وجل: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[٥] أي أوصى بعضهم بعضًا برحمة الضعيف والتعطف عليه، وترحمت عليه أي قلت رحمة الله عليه.

معنى الرحمة:

تشترك الرحمة والشفقة بمعنى مترادف ومتقارب، والرحمة أظهر يتبعها الإشفاق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾[٦] أي عطفًا وصنعًا، و ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾[٧] أي: حيًا وخصبًا بعد مجاعة، وأراد بالناس الكافرين. وترحّمَ عليه: دعا له بالرحمة.. واسترحمه: سأله الرحمة، ورجل مرحوم ومُرَحَّم (شُدِّدَ للمبالغة).

والله الرحمن الرحيم: لأن معناه «الكثرة»، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيء، وهو أرحم الراحمين، فأمّا الرحيم فإنما ذكر بعد الرحمن لأن الرحمن مقصور على الله عزّ وجل، والرحيم قد يكون لغيره، قال الفارسي: إنما قيل بسم الله الرحمن الرحيم؛ فجيء بالرحيم بعد استغراق الرحمن معنى الرحمة لتخصيص المؤمنين به في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[٨] والرحيم: العاطف على خلقه بالرزق، والرحيم يوصف به غير الله تعالى، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال: رحمن.

---

[٣] سورة يوسف: ١١١.

[٤] سورة الأعراف: ٢٠٣.

[٥] سورة البلد: ١٧.

[٦] سورة الأنبياء: ١٠٧.

[٧] سورة يونس: ٢١.

[٨] سورة الأحزاب: ٤٣.

www.mtenback.com

والرحمة في عند العرب: رقة القلب وعطفه، ورحمة الله: عطفه وإحسانه ورزقه.

وقد اقترنت المعاني الشمولية للرحمة بالصفات الإلهية، وكانت فاتحة لكل عمل يتجه للخير، وهي مبتدأ الفعل الذي سخّر الله سبحانه الإنسان لفعله: «الرحمن والرحيم». وهما مشتقان من الرحمة؛ التي هي: رقة القلب وعطفه. والمراد هنا التفضل والإحسان.

وروي عن أبي عبد الله أنه قال: الرحمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم بالعكس. وذلك أن لفظ (الرحمن) لا يطلق على غيره تعالى، كما سبق. وأما صفة عمومه، فلأن رحمته في الدنيا واسعة شاملة للمؤمن والكافر.

وأما (الرحيم)، فيطلق على غيره تعالى، وأما صفة خصوصه؛ فلأن رحمته في الآخرة لا تشمل إلا المؤمن[٩].

ومما يؤكد عموم (الرحمن) وخصوص (الرحيم) أن تكرار كلمة (الرحمن) في غير البسملة كان سبعًا وخمسين مرة، في حين تكرّرت (الرحيم) ضعف هذا العدد أي: أربع عشرة ومائة مرة، كل هذا إذا كانت تخصان الذات العليّة، على حين أن لفظة (الرحيم) وردت مرة واحدة في مدحه عليه الصلاة والسلام في آخر التوبة، كل هذا يؤكد لك أن (الرحمن) عامة بخلافة (الرحيم) فهي خاصة للمؤمنين وهذا من قبيل الإعجاز العددي في القرآن الكريم.

ومن مرادفات الرحمة الشفقة وقد تناول معناها اللغويون فقالوا: الشَفَق: الخوف، تقول: أنا مشفق عليك أي أخاف، والشفَق أيضًا: الشَفَقَة، وهو أن يكون الناصح مع بلوغ النصح خائفًا على المنصوح، تقول: أشفقت عليه أن يناله مكروه، والشفيق: الناصح الحريص على صلاح المنصوح، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا

[٩] الجزائري نور الدين، فروق اللغات، انظر ص١٣٧-١٣٨.

www.mtenback.com

مُشْفِقِينَ﴾[10] أي كنا في أهلنا خائفين لهذا اليوم، والشفقة: رقة من نصح أو حب يؤدي إلى خوف.

ولعلنا نرى في الشفقة كل معاني الرقة والخوف والنصح، وهي مفردات سلوكية تعبّر عن رقة وصفاء في النفس الإنسانية، وقد تعبر في ذلك عن طهارة.

وقد جاء في بيان الإشفاق: أشفق من الشيء خاف أن يناله منه مكروه. وأشفق على فلان: خاف أن ينزل به مكروه. وعطف عليه عناية به. وأشفق عليه: خاف من حلول المكروه به مع نصح. والإشفاق عناية مختلطة بخوف؛ لأن المشفق يحب المشفَق عليه ويخاف ما يلحقه.

وإذا قيل: «أشفق منه» فمعنى الخوف فيه أظهر. وإذا قيل: «أشفق فيه» كان معنى العناية فيه أظهر، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾[11].

ويقال: أنا مشفق من هذا الأمر. أي خائف منه خوفًا يرقق القلب ويبلغ منه مبلغًا عظيمًا والشفقة هي الرحمة والرقة والخوف من حلول المكروه.

والرحمة والإشفاق من أخلاق القرآن ومن فضائل الإسلام، وقد جاء ذكر الإشفاق في أكثر من آية كريمة، ونوّه القرآن الكريم بشأن الإشفاق حين جعله صفة من صفات الملائكة الذين هم عباد الله المكرمون الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ومن هذا نفهم أن الإشفاق لا يقتضي أن يكون هناك ذنب يخاف منه صاحبه أو يهابه، قال تعالى عن الملائكة: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[12]. أي خائفون من هيبته وجلاله، وهم

---

[10] سورة الطور: ٢٦.

[11] سورة الطور: ٢٦.

[12] سورة الأنبياء: ٢٨.

www.mtenback.com

مشفقون مع أنهم ليس لهم ذنب، ومشفقون من خشيته، على قربهم وطهارتهم، وطاعتهم التي لا استثناء فيها، ولا انحراف عنها.

وكذلك ذكر القرآن أن «الإشفاق» من صفات المتقين.قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[١٣]. أي وهم من عذاب يوم القيامة وسائر ما يجري من السؤال والحساب مشفقون، فيعدلون بسبب هذا الإشفاق عن معصية الله تعالى، وتستشعر قلوبهم خشية الله وإن لم يروه، وهم يخافون الآخرة فيعملون لها وهؤلاء هم الذين ينتفعون بضياء الله ويسيرون على هداه[٨].

والشفقة والرحمة متلازمتان معنىً وسلوكًا، فالذي يرحم الآخرين، يكون شفيقًا بهم، خائفًا عليهم من شيء يؤذيهم في دنياهم أو آخرتهم.

والرحمة والإشفاق سلوكان حرص الإسلام على ترسيخهما في النفس الإنسانية لأنهما مصدران لكل خير، ولا يتصف بهما من الناس إلا أهل الفضل الذين يحبهم الناس ويألفونهم لما جبلوا عليه من الخير.

وهناك ما يشير إلى أن الإنسان يولد وفي ذاته كمون للخير والشر، وتبرز فاعليات أحد هذين النازعين ضمن الشروط الأخلاقية للعلاقات التي تشهدها البيئة التي يكون فيها الطفل، وثمة دراسات أجريت لتحديد مقومات وشروط التطور النفسي عند الطفل من خلال رصد المؤثرات في تكوينه النفسي وفاعلياته السلوكية فيما بعد.

وقد انتهت هذه الدراسات إلى تحديد مقومات التطور النفسي في الخصائص الوراثية، والميزات الفطرية للجسم، وعمليات النضوج، أما شروط التطور النفسي

---

[١٣] سورة الأنبياء: ٤٩.

[٨] الشرباصي: أحمد: موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، الطبعة الأولى، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، بيروت، لبنان، انظر: ج٤، ص٣٣-٣٤.

www.mtenback.com

فمرهون بالوضع الاجتماعي واستيعاب الخبرة الاجتماعية والنشاط النفسي للطفل، علمًا بأن «الاستيعاب» يتحقق من الاختلاط مع الآخرين أثناء عملية النشاط الرئيسي والتعليم المهني»[١٤].

إذن فللعوامل البيولوجية والاجتماعية دورٌ في التطور النفسي، وتلك نتيجة أثبتتها الأبحاث العلمية جرى إحصاء جميع العوامل والظروف التي تؤثر على تطور شخصيته وتعين على تحديد آثارها، وكيف ينتقل الطفل تحت تأثير هذه الاعتبارات من مرحلة تطور إلى أخرى.

وتكمن إحدى المهام الرئيسة للعلم في إظهار أهمية تلك المقدمات والشروط العامة التي يغدو الطفل بفضلها «إنسانًا» والتي بدونها يكون التطور الطبيعي أمرًا مستحيلاً. ومن الثابت أن تركيب الجسم ووظائفه يتلقاها الطفل من آبائه وأجداده بالوراثة، ثم يتطور مفهومه للحياة بأثر الوسط الذي يعيش فيه ويتلقى معارفه منه متأثرًا بالبيئة؛ فالبيئة التي تربي أطفالها على الرحمة وتبعث فيهم أسبابها تخلق في نفوسهم بواعث الرحمة والرفق والشفقة.

وهذا يعني أن الخبرة الاجتماعية تشكل مصدرًا للنمو النفسي لدى الناشئة حين يتلقى الطفل معارفه فتتطور مزاياه النفسية وصفاته الشخصية[١٥].

تكوّن المزايا الأخلاقية:

يتحدد التطور الأخلاقي لشخصية الطفل بعوامل المعرفة وعادات السلوك والموقف الانفعالي من القاعدة الأخلاقية التي يعيش فيها حيث تدل على معرفة معايير

---

[١٤] موخينا، فاليريا، نشأة الشخصية، ترجمة سليم توما، دار التقدم، موسكو، روسيا، (١٩٨٨)، ص٩-١٠.

[١٥] موخينا، نشأة الشخصية، ص١٠، ١١، بتصرف.

www.mtenback.com

السلوك التي تتسم بأهمية كبرى بالنسبة لتطور الطفل بوصفه كائنًا اجتماعيًا يعيش في وسط يحدد علاقته مع من حوله، ويلم بقواعد السلوك الاجتماعية، من محيطه ويبدأ في إدراك مغزاها، وتتكون لديه عادات السلوك، وموقف عاطفي محدد من هذه القواعد. وعندما يتصرف الطفل خلافًا للقواعد المعتادة؛ فإن ذلك يثير في نفسه شعوراً بعدم الارتياح والشعور بالخطأ أو التقصير ويشعر بعدم الانضباط مع قاعدة المجتمع فيحاول الرجوع إلى ضوابط السلوك المتفق مع الوسط الذي يعيش فيه.

وقد بحث علماء نفس الطفل في تنامي وتطور اتجاهات المشاعر النبيلة وغير النبيلة، فخلصوا بناءً على بحوث ميدانية وتجارب نفسية إلى أن مشاعر طفل في سن ثلاث سنوات وأربع رغم وضوحها فهي لا تزال عرضية جداً وغير ثابتة.

فمحبة الطفل لوالدته تدفعه إلى احتضانها وتقبيلها، وإطلاق كلمات رقيقة؛ لكنها لا تزال مصدراً غير عميق وراسخ لآثار المحبة الفعلية، والطفل ما زال غير قادر على التعاطف المديد والعناية بالآخرين حتى لو كانوا أشخاصًا يحبهم كثيراً.

وقد دلّت مراقبة مظاهر الأطفال الوديّة في روضة الأطفال ؛ أن الطفل ما بين الثالثة والخامسة من العمر يتصادق بالتناوب مع أطفال كثيرين تبعًا للظروف لا بناءً على موقف ثابت. لكن النضج النفسي يجعل بالإمكان ملاحظة عناية الأطفال في سن السادسة والسابعة من العمر بالأشخاص المقربين، والتصرفات الموجهة نحو وقايتهم من القلق والتكدر ويجب في هذه الحال أن تركز تربية الطفل على تكريس الفضائل الخلقية في حياته الأولى.

وتغدو الصداقة أمراً نموذجيًا للطفل في هذه السن مع أترابه رغم بقاء عدد كبير من حالات الصداقة التناوبية. وتكتسب عقود الصداقة بين الأطفال أهمية كبرى في التدرب على إظهار العطف المتبادل كما أن المشاعر تسير باتجاه سوية أخلاقية تضمن سيرورة الخير في ذات الطفل.

www.mtenback.com

إلا أن ثمة رأيًا شائعًا بأن الأطفال الصغار يتصرفون بقسوة وأنهم يعاملون الحيوانات والأشياء بلا رحمة، ونحن نلاحظ بعض ذلك ونصعق عندما نشاهدهم يؤذون الحيوانات الصغيرة، ويمزقون أوصال الفراشة مثلاً أو يأخذون القط من خناقه وهذا يولد انطباعًا مناقضًا لما يظهرونه في حالات أخرى من تعاطف ومواساة نحو الحيوانات، غير أن عدم المبالاة والقسوة الظاهرة أحيانًا، ليستا إلا نتيجة طبيعية لغياب الإدراك، ولأن فضول الطفل الراغب في التوغل داخلَ جميع الأشياء يقترن بالطيش الطفولي بشأن العواقب التي تؤدي إلى ظواهر يعدها الكبار غلظة وقسوة»[١٦].

وكل ما سلف يقود إلى حقيقة أنَّ الرحمة خصيصة ذاتية إذا جاءت عن وعي وإدراك، وهي سلوك مكتسب من المحيط الذي عليه أن ينمّي الإدراك عند الطفل؛ ونقصد إدراك الماهيات التي تنمي السلوك النبيل لديه وتقوي شعوره بالرحمة.

والشعور بالرحمة سلوك يشترك في إيجاده العقل والروح معًا، وهذا ما يدعمه البحث النفسي.

يشير «وليم جيمس» إلى أن البالغ لديه القدرة على التمييز بين المحسوسات المختلفة بدرجة تتجاوز تمييز الطفل لها، إذ يقوم بمقارنة الأشياء، وتمييز بعضها عن بعض؛ مستعينًا بتجاربه الماضية، فيميز مثلاً بين التفاحة والبرتقالة بمجرد النظر إليهما؛ لا من حيث اللون فقط، وإنما كذلك من حيث الطعم والرائحة[١٧].

إذن عندما يبلغ الإدراك مرحلة التمييز؛ فإننا نستطيع وصف الرحمة ها هنا من الناحية النفسية، بأنها تماهي الإحساس الظاهر بالإحساس الباطن، وإذا استقرَّ الإحساسان في الذات الإنسانية؛ فإن حجم الرحمة ودقتها وشفافيتها ترتبط بوشيجتين

---

[١٦] انظر: موخينا، نشأة الشخصية، الصفحات ٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩.

[١٧] في سبيل موسوعة نفسية رقم (١٦)، د. مصطفى غالب، الإدراك، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (١٩٨٥م/١٤٠٥هـ)، انظر: ص ١٣١- ١٣٢.

www.mtenback.com

من وشائج السلوك، الأولى عقلية وتأتي من التربية الصالحة التي يربى عليها الفرد، والثانية روحية وهي الرحمة القائمة في طبيعة الإنسان وفطرته التي فطر عليها. إلاّ أنّ للبيئة بعواملها المتنوعة التي يحيا وسطها الإنسان دورها الفاعل في إبراز هذه القيمة، وتشكيل مظاهرها، وتوجيه مسارها، وتحديد أحجامها عمقًا وبعدًا وشعورًا بالحب نحو الآخرين والانجذاب إلى مشاركتهم وجدانيًا فتكون الرحمة لهم والرفق بهم. ومن المصادر التي تورث الرحمة قيمة وسلوكًا مدركًا وممارسة حية شعور المرء بالآخرين وتعاطفه معهم حين يقوّي في نفسه باعث الرحمة فيستمد معناها من العقل والروح، ويقوم إحساسه بها، والرغبة بفعلها، ويؤمن بأهمية ما يقوم به ونفعه للناس الذين يتعامل معهم، فتوحي له جبلّته بالمعنى غير المحدود للرحمة والشفقة أي تجسيد الدافع للإحساس بالعطف وبشموليته غير المحدودة.

وقد تمثلت عناصر الرحمة في كثير من ممارسة الإنسان، وقيمة مع من يحيط به من قرابة أو صداقة فيتحرك في نفسه باعث الخير، فيرق الخيط الناظم للعلاقات كلها حتى لا يكاد يرى، وهذا الخيط نستطيع وسمه على حذر بالرحمة والشفقة، رحمة الإنسان الواقعة على الإنسان، وامتدادها لتكون إحساسًا بالشفقة على الذات والطبيعة، وهذا دليل على أولية الإحساس، وقابلية تطوره من جهة، وصدوره عن الباطن العفوي من جهة ثانية، وقد أكّد علماء النفس نتيجة لأبحاثهم المستمرة حول الحواس أن الإنسان يميل بطبعه إلى الرفق وتثيره بعض مواقف الشفقة والرحمة فينفعل وجدانيًا بها ويستجيب للدوافع الذاتية التي يظهر أثرها واضحًا في تصرفاته ومواقفه من الآخرين. ولما كان للنفس الحاسّة خمس قوى هي الحواس الظاهرة، التي تدرك بواسطتها المحسوسات الخارجية المختلفة؛ كان لابد من معرفة كيفية إمداد النفس الحاسّة بما تحتاج إليه من المادة اللازمة للقيام بوظيفة الإدراك. ذلك لأن كل حاسة من الحواس الظاهرة

www.mtenback.com

تدرك محسوساتها الخاصة فقط، ولا يمكنها التمييز بينها وبين محسوسات الحواس الأخرى. فالبصر مثلا يدرك الألوان، ولكنه لا يستطيع أن يميّز بين الألوان والأصوات.

ومن الضروري حتى تتم المعرفة ويحصل الغرض منها، اجتماع هذه المحسوسات المختلفة عند قوة واحدة تستطيع الحكم عليها والتمييز بينها. فإنه لو لم تكن قوة واحدة تدرك الملّون والملموس، لما كان لنا أن نميزّ بينها.

وقد لاحظ علماء النفس الحديثون أهمية ذلك في اكتساب المعرفة. ومن ذلك ما قاله «وليم جيمس»: إن التمييز بين الأشياء، وإضافة بعضها إلى بعض ؛ أمران ضروريان لزيادة معرفتنا بها، وليس ذلك - بنظر القدماء - ضروريًا لاكتساب المعرفة فحسب، بل هو ضروري لاستمرار الحياة أيضًا. فالحياة متعذرة إن لم يكن من الممكن التمييز بين المحسوسات المختلفة والمقارنة بينها[١٨].

هذا كله يؤكد وجود الرحمة طيفًا ناظمًا لعلاقات اجتماعية معيشية ستليها علاقات رحميّة تربطها وحدة الدم وتتشكل باتضاح العلاقات الاجتماعية، وهذا ما نجده متخصصًا بالعلاقات الأسرية التي تصل عند العرب الجاهليين إلى علاقات عشائرية وقبلية، تقوم على أساس تباعد النواة (الأسرة) وتقاربها، وتنسج عمل العواطف والإحساسات النبيلة الأخرى.

ومن مقومات مصادر الرحمة في الذات الإنسانية: الحكاية الموجهة، التي تبلور وتدعم معنى الإنسانية من خلال قيمة الرحمة في انتصار الخير واندحار الشر في نهاية الصراع الأبدي بين الشر والخير.

فإذا كانت الأسطورة تقوم على عنصرين أساسيين، أولهما: متخيل، والثاني محسوس موجّه؛ يتمثل بالإنسان، فإن الخرافة والحكاية، تقومان على ثلاثة عناصر،

---

[١٨] د. غالب مصطفى، الإدراك، انظر: ص١٠٦-١٠٨.

www.mtenback.com

المتخيّل، والمحسوس الفاعل، والقيمة الجوهر الذي كان كثيراً ما ينتهي إلى انتصار قيمة نتيجة لهدف نبيل سامٍ يؤدي مباشرة إلى الرحمة التي لولاها لانتصر الشر. والمهم في هذه الحركة العقلية هو توجيه الإحساس النبيل إلى التسامي عن طريق إدراك معانيه وتحويلها إلى إيمان معتقدي يؤكد إنسانية الإنسان، إذ هو أسمى مخلوقات الله عزّ وجل وأقدرها على الشفقة والرحمة.

وأكدت الحكايات الشعبية على القيمة الأساس التي قامت عليها أصلاً، وهذه القيمة تمحورت في شخصية أبطال الحكايات، فكثيراً ما تكون رجلاً فقيراً يعول أسرة يغلب عليها العنصر الأنثوي الأضعف الذي يقع عليه الشعور بالرحمة. والبطل يبدأ من لا شيء أو من شيء بسيط إلى أسمى شيء، الذي هو القوة والرحمة والشفقة بالنسبة للمجتمع، حيث يتحوّل في نهاية الحكاية إلى ملك، والملك يمثل أسمى معاني التملك والسيطرة والقوة. وأما باقي الشخوص فيها فمن الإنس والجن والغيلان والسباع والطير والبهائم وبعض الأدوات الأخرى التي تتعاطف مع رحمة البطل بل ترفدها لاستكمال غاية الهدف الذي يسعى إليه. وهناك بعض الجمادات التي نستطيع إدخالها في عداد الشخوص أو تعد ظلالاً لهذه الشخوص لأنها تقوم مثلهم بالعجائب وتؤدي الخدمات للبطل.

وكثيراً ما يترك الأبطال في الحكايات بلا أسماء وقد يميّزهم القارئ أو المستمع بالخصال السامية النبيلة وعلى رأسها الرحمة المتمثلة في حب الإنسان الصديق أو القريب أو الخيّر.

والحقيقة أن أبطال الحكايات وشخوصها شخصيات متكررة في أكثر الحكايات، وهي نماذج لسلوكيات صادرة عن مشاعر إنسانية كالسلوك المؤطر بالرحمة والشفقة، لذا تركّز الحكايات على وجوب كون البطل صورة لكل مثل أعلى فهو الشجاع وهو الخلوق الشفيق الرحيم الحامي والذائد عن أهله وأبناء جلدته، وهو في

www.mtenback.com

تصوير الراوي يرتفع حتى يكاد أن يصل إلى ضرب من الأساطير، وهذا ما يجعل الكثيرين يعيدون الحكايات إلى أصولها الأسطورية، إذ إن القاعدة الرئيسة لمعظم الحكايات الشعبية هي تعدد معاني الرحمة في الإنسان تجاه الآخرين.

ولابد للبطل من أن يكون له قريب في غالب الأحيان، فإذا كان البطل فقيرًا فله أخ غني، وإذا كانت الفتاة جميلة سمحة الأخلاق، كانت لها أخت قبيحة شرسة الخلق، وإذا كان البطل شجاعًا قويًا ذا قلب أبيض كان له أخ أو أخوان ضعيفان أو جبانان أو أحمقان مما يؤدي إلى نجاح البطل في إيصال المعاني السامية إلى الآخر وعلى رأسها الرحمة التي تحبب الإنسان إلى أخيه ومجتمعه.

وتتمثل معاني الرحمة والشفقة في الغاية الأخيرة التي يسعى إليها البطل، حين نجده يبرز في إنقاذ أحد أفراد أسرته وقد يكون أبًا شيخًا أو أخًا مريضًا أو أختًا ضعيفة، أو أمًا طاعنة في السن فالدافع إلى هذا العمل هو الرحمة.

إن ما تقدم يوصلنا إلى حقيقة واحدة تؤكد أمرين مهمين، أولهما أن الرحمة والشفقة من السلوك النبيل الكامن في أعماق الإنسان وهي جوهر إنسانيته، وهذا الجوهر يظل بمثابة الفطرة التي فطر الله الناس عليها فيتعلم المرء صنوف الرحمة وقيمتها فيبتدعها عقله ويصوغها ضميره ثم تتشرب بها روحه التي تحوّل الرحمة إلى عنصر إيماني قيمي يجسد كمالاً إنسانيًا وامتثالاً ربانيًا يرضي الله الرحيم.

الرحمة بمعناها الاجتماعي:

تجلت الرحمة في ذات الإنسان بشكل فطري منذ بدايات الخلق، واختلفت درجات الشعور بها وممارستها باختلاف البيئات الاجتماعية، والعلائق الإنسانية وتطور أنماط السلوك نتيجة لتطور ظروف الزمان والمكان بناء على حركة الفرد أو الجماعة وعلاقتهم بالآخرين وشعورهم نحوهم، والتعاطف بينهم.

www.mtenback.com

ولقد مارس العرب في الجاهلية أصنافًا من الرحمة، وكانت الرحمة في سلوكهم قيمة فردية تصنعها المكانة الاجتماعية، أو المرتبة الزمانية، فهي من مستلزمات الحكيم والجواد والفارس والمقدّم في قومه، كما يحددها الفرد المتصدر في مجتمعه، فتغدو نهجًا ينتهجه تابعوه، والواقعون في ظل مكانته الزمانية ويقلدونه فيها.

ورأت العرب في الجاهلية بطبيعتها الفطرية الصحراوية أن قيمتي الرحمة والشفقة تقع بداءة على الوَلَد وذريته، والرحمة في مفهومهم رعاية الأسرة والدفاع عن ذمارها، وإبلاغ الروح مستقرها إن قُتِلت غيلة وظلمًا، والروح عندهم في هذه الحالة لا تستقر إلا ببلوغ ثأرها من قاتلها، وإذا لم يحدث هذا فإنها تلبس لبوس الرحمة، ومن مواثيق عهودهم صلة الرحم، أما العار والشنار فيقع عادة على قاطع الرحم أو العابث به.

ومن بدائع أيامهم حديث متواتر عن يوم «ذي قار»[١٩] إذ جاء فيه: كان منزل أيوب ابن محروق في اليمامة في بني امرئ القيس بن زيد مناة فأصاب دمًا في قومه، فهرب، ولحق بأوس بن قلاّم الحارثي في الحيرة وكان بينهما نسب من قبل النساء، فلما قدم عليه أكرمه، وأنزله في داره فمكث معه ما شاء الله أن يمكث.

ثم إن أوسًا قال له: يا ابن خالي، أتريد المقام عندي وفي داري؟ فقال له: نعم فقد علمت أني إن أتيت قومي، وقد أصبت فيهم دمًا، لم أسلم، وما لي دار إلا دارُك آخر الدهر.

قال أوس: إني كبرت وأنا خائف أن أموت فلا يعرف ولدي لك من الحق مثل ما أعرف، وأخشى أن يقع بينك وبينهم أمر يقطعون فيه الرَّحِم، فانظر أحسن مكان في الحيرة إليك فأعلمني به، لأقطعكهُ أو أبتاعه لك[٢٠].

---

[١٩] يُنظر: أيام العرب في الجاهلية، تأليف أحمد جاد المولى بك، محمد، محمد البجاوي، علي، أبو الفضل إبراهيم محمد، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٦١م)، ص٦.

[٢٠] أحمد جاد المولى، ورفاقه: أيام العرب في الجاهلية، (يوم ذي قار)، ص٦.

www.mtenback.com

وهذا ضرب من الرحمة بالولد الذي قد يتعرض للقسوة ورحمة بالقريب الذي لجأ إلى قريبه طالبًا غوثه وعونه. لقد طلب الضعيف الرحمة من القوي، فاستجاب القوي شفقةً بالطالب. ثم خاف العواقب فرحم قريبه وأولاده وبدافع هذه الرحمة بحث عن سبب يرضي الطرفين ويبعد قطع الرحم عنهما.

وربما تم طلب الرحمة عن طريق التوسل بالشعر، أو بالخطاب المباشر، أو عن طريق المراسلة بواسطة رسولٍ يؤديها.

ومن الشعر الذي سُلِك به هذا السبيل قصيدة لعلقمة بن عبدة الحنظلي وجهها إلى الحارث بن جبلة الغساني، وكان أخوه قد أسر مع أسرى قومه حين أغار عليهم الحارث، وكان الملك العربي الغاضب يحب الشعر ويكافئ عليه ويستفزه الثناء ويأخذ بمجامع قلبه، وتلك صفات العرب حين يسمعون جميل القول يهزهم ويأخذ بألبابهم ويستجيبون لما يرجوه منهم المادحون، فكانت رحمة الشاعر لأخيه وحبه له باعثًا على مدح الآسر ومحركًا لملكة الشعر حتى استطاع تجسيد البر والرحمة وقال:

وَفي كلِّ حَيٍّ قد خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ ... فَحُقَّ لشَأْسٍ مِنْ نَداكَ ذَنُوبُ

فَلا تَحْرِمَنِّي نائِلاً عَنْ جَنابَةٍ ... فإنّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبابِ غَرِيبُ[٢١]

ولما بلغ إلى قوله: «فحقّ لشأس من نداك ذَنوب...» قال الملك: أي والله وأذْنِبَة ثم أطلق شأسًا وقال له: إن شئت الحِباء، وإن شئت أُسراءَ قومك. وقال لجلسائه: إنْ اختار الحِباء على قومه لا خير فيه، فقال (شأس): أيها الملك، ما كنتُ لأختار على

(٢١) يريد بالنائل، إطلاق سراح شأس، والجنابة البعد والغربة، ومعناه: أنا منقطع عن أهلي وخلاّني وصلتي في الحياة أخي شأس فهو صلة رحمي في وحشة غربتي. ذَنُوب: نصيب. الحِباء: الأعطية عن كرم.

www.mtenback.com

قومي شيئًا، فأطلق له الأسرى من تميم وكساه وحَبَاه، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزوّدهم زادًا كثيرًا، فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس...»[٢٢].

فرحمة الشاعر لأخيه ورفقه به جعله يحتال لإطلاقه من الأسر، ورحمة الملك للشاعر المتوسل بغربته وبعده عن ناصره جعلت الملك يشفق على الطرفين فيتصرف بإنسانية عالية ويزيد من عطفه على المطلوب فيجعل بره ورحمته أشمل وأعم.

وكانت القبائل تتزاوج من بعضها لتمتين الأواصر، وتدعيم صلات الرحم فيما بينها، فإذا وقع تباغض بينهم، فالضر يقع كثيرًا على النساء اللواتي يسارعن إلى ذوي أرحامهن منبهات إلى الخطر المحدق بهن، بعد أن يطّلعن على الخطط المبيتة من ضد أهلهن، ومن أيام العرب التي أنبأت عن ذلك حرب كعب بن عمرو وفيها: «ثم إن أُحيحة جمع لبني النجار وأراد أن يغترّهم[٢٣]، فواعده قومه لذلك وكانت زوجة أُحيحة سلمى بنت عمرو إحدى نساء بني النجار، وكان له منها ابنه عمرو بن أُحيحة، وهو يومئذٍ فطيم أو دون الفطيم، فلّما رأت عزم أُحيحة على غزو قومها عمدت إلى ابنها فربطته حتى إذا أوجعت الصبي فتركته فبات يبكي وهي تحمله، وبات أحيحة معها ساهرًا يقول: ويحك! ما لابني؟! فتقول: والله ما أدري ماله؟ حتى إذا ذهب الليل أطلقت الخيط عن الصبي فنام. ولما هدأ الصبي قالت: وا رأساه فقال أُحيحة: هذا والله ما لقيت من سهر هذه الليلة، وبات يعصب لها رأسها ويقول: ليس بك بأس، حتى إذا لم يبق من الليل إلا أقلّه قالت له: قم فإني أجدني صالحة، وقد ذهب عني ما كنتُ أجده، وإنما فعَلتْ ذلك ليثقل رأسه وليشتد نومه على طول السهر، فلّما نام قامت وأخذت حبلاً وأوثقته برأس الحِصن، ثم تدلّت منه، وانطلقت إلى قومها

---

[٢٢] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ١/٣٥٠-٣٥١.

[٢٣] يغترهم: يأخذهم على غرة.

www.mtenback.com

فأنذرتهم وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه من ذلك، فحذر القوم، وأعدّوا، واجتمعوا؛ فأقبل أُحيحة فوجد القوم على حَذَرٍ قد استعدّوا، فلم يكن بينهم كبير قتال، ثم رجع أُحيحة وقد فَقَدَ زوجته، فَفَطِنَ لحَذَرِ القوم، وعَلِمَ أنَّ سلمى قد خدعته»[٢٤].

وكلماّ أوغل المرء في قراءة أيام العرب ووقائعهم اتضحت حدود علائق الرحمة بينهم وغدت قابلة للتوسع والتضيّق حسب مقتضى الحال الذي كانت تفرضه الحروب فيما بينهم بأسبابها المختلفة. ومن شواهد تواصل الرحم في أبناء العمومة وأبناء الخؤولة ما حدث في يوم أوَارَة الثاني بين الملك عمرو بن هند وبني تميم: «بلغ عمرو بن هند شعرٌ لشاعر من الطائيين يهجوه فيه، فبادر إلى غزو طيِّئ وأسر من بني عديٍّ الطائي سبعين رجلاً ومنهم قيس بن جحدر ابن خالة حاتم الطائي، وحاتم يومئذٍ بالحيرة، فلما قدم جعلت المرأة تأتيه بالصبي وتقول: يا حاتم أُسِرَ أبو هذا؛ فلم يلبث إلاّ ليلة حتى سار إلى عمرو بن هند فوهبهم له إلا قيس بن جحدر؛ لأنه كان من رهط عارق بن جروَة الطائي، فقال حاتم:

فَكَكْتَ عَدِيًّا كُلَّهَا مِنْ إِسَارِهَا ... فَأَنْعِمْ وَشَفِّعْنِي بِقَيْسِ بْنِ جَحْدَرِ

أَبُوه أَبِي، والأمهَّاتُ امَّهاتُنَا ... فَأَنْعِمْ فَدَتْكَ اليومَ نَفسِي ومَعْشَرِي

فقال: «هو لك يا حاتم»[٢٥].

---

[٢٤] أحمد جاد المولى بك، ورفاقه: أيام العرب، (حرب كعب بن عمرو)، ص٧٠-٧١.

[٢٥] أحمد جاد المولى بك، محمد، ورفاقه: أيام العرب، (حرب يوم أوَارة الثاني)، ص١٠٢. وعمرو بن هند: هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس، ويُعرف باسم أمه هند بنت عمة امرئ القيس الشاعر. كان شديد البأس، وافر البطش، عظيم الكبرياء، مات مقتولاً بسيف عمرو بن كلثوم الشاعر سنة ٥٧٨م.

www.mtenback.com

وتزداد أواصر الرحم كلما ضاقت دائرة القربى، إذ تعد الرحم أقوى في الابن تجاه أبيه وفي الأخ تجاه أخيه، وفي الأخت تجاه أخيها، وهنا تدخل الحميّة المتأتية عن الشرف فتكون الرحم أشد اتصالاً إذا ما تعلقت بأنثى: أُمًا كانت أو خالةً أو عمّة، فصلتها أوثق لأنها تتعلق بلوازم الشخصية العربية، كالشرف وما يتصل به من قيم. وقد وردت قصص كثيرة من أيام العرب تؤكد على معاني الرحمة في الجاهلية على الأرحام، وصدورها عن الملوك والمتقدمين في أقوالهم ولنقرأ هذا الخبر:

«.. كان بنو عامر بن صعصعة قومًا حُمْسًا، لِقاحًا، فلّما ملك النعمان بن المنذر؛ كان يجهّز كل عام لطيمة لتباع بعكاظ، فتعرض لها بنو عامر يومًا؛ فغضب لذلك النعمان، وبعث إلى وبرة الكلبي، أخيه لأمه، وبعث إلى صنائعه، وأرسل إلى ضبّة ابن أدّ وغيرهم من الرباب وتميم، فأجابوه، وأتاه ضرار بن عمرو الضبّي في تسعة من بنيه كلّهم فوارس، واجتمعوا في جيش عظيم، وجهّز النعمان معهم عِيرًا، وأمرهم بتسييرها، وقال لهم: إذا فرغتم من عكاظ، وانسلخت الأشهر الحرم، فاقصدوا بني عامر، فإنهم قريب، بنواحي السلاّن.

فخرجوا وكتموا أمرهم، وقالوا: خرجنا لئلا يعرض أحدٌ للطيمة الملك. فلما فرغ الناس من عُكاظ علمت قريش بحالهم، فأرسل عبد الله بن جدعان قاصدًا إلى بني عامر يعلمهم الخبر، فسار إليهم وأخبرهم خبرهم، فحذروا وتهيؤوا للحرب، وتحرّزوا ووضعوا العيون وجعلوا عليهم عامر بن مالك ملاعب الأسنّة، وأقبل الجيش، فالتقوا بالسلاّن، واقتتلوا قتالاً شديدًا وبيناهم يقتتلون إذ نظر يزيد بن عمرو بن خويلد الصّديق إلى وبرة الكلبي أخي النعمان، فأعجبته هيبته وهيئته، فحمل عليه أمره، فلما صار في أيديهم همّ الجيش بالهزيمة، فنهاهم ضرار بن عمرو الضبّي، وقام بأمر الناس، فقاتل هو وبنوه قتالاً شديدًا، فلّما رآه أبو براء عامر بن مالك وما يصنع ببني عامر وبنوه حمل عليه ــ وكان أبو براء رجلاً شديد الساعد ــ فلمّا حمل على ضرار اقتتلا؛

www.mtenback.com

فسقط ضرار إلى الأرض، وقاتل عليه بنوه حتى خلصّوه وركب شيخًا، فلما استوى قال: من سرّه بنوه ساءته نفسه..»[٢٦].

فارتباط الرحمة مع الحمية الجاهلية هي صورة لواقع الحياة التي كانت تعيشها العرب فهي صلة حافظ عليها العربي ومجّدها وقويت في نفسه بواعثها وما حديث «حجر» وابنه الشاعر امرئ القيس إلا دليل على صدق ما ذهبنا إليه.. فقولته في مقتل أبيه حُجْر بن الحارث بن عمرو ملك بني أسد وغطفان: «ضيّعني صغيرًا، وحمّلني دمه كبيرًا، لا صحو اليوم، ولا سُكْر غدًا، اليوم خمر، وغدًا أمر»؛ باتت مشهورة، ومسوقة على ألسنة العرب[٢٧] وقد كانت ضربًا من الحميّة التي ألهبت نفسه وخلقت فيها الشعور بالثأر لأبيه.

وقصة جليلة زوجة كليب وتشتتها العاطفي بين زوجها القتيل وأخيها المطارد بدم زوجها، مثال على ضيق المعنى الإنساني للأرحام وتحوله إلى معنى قبلي تحكمه عادات وشرائع ونواميس جاهلية: ولما قُتل كليب اجتمع نساء الحيّ للمأتم، فقلن لزوجة كليب: يا هذه؛ اخرجي عن مأتمنا، فأنت أختُ واترِنا، وشقيقة قاتلنا، فخرجت وهي تجر أعطافها، وقالت لها أخت كليب: رحلةُ المعتدي، وفراقُ الشامت، ويلٌ غدًا لآل مُرّة، من الكَرّة بعد الكَرّة! فبلغ قولها جليلة فقالت: وكيف تشمت الحرّةُ بهتك سترها، وترقب وِتْرَها! أسعد الله جدّ أختي، أفلا قالت: نَفْرةُ الحياء، وخوفُ الاعتداء؟ ثم أنشأت تقول:

يا ابْنَةَ الأَقْوَامِ إِنْ شِئْتِ فَلا تَعْجَلِي بِاللوْمِ حَتَّى تَسْأَلي

---

[٢٦] أحمد جاد المولى بك، ورفاقه: أيام العرب، ص١٠٧-١٠٨. للتوسع، يراجع ابن الأثير، ج١، ص٣٩١، وتارخ العرب القدامى، ص٤٦، ومعجم البلدان، لياقوت الحموي، ج٥، ص١٠٤.

[٢٧] للاستزادة من هذا الموضوع يُراجع: أحمد جاد المولى بك، أيام العرب في الجاهلية، (يوم حُجْر) من ص١١٢-١٢٣.

www.mtenback.com

فَـإذَا أَنْـتِ تَبيَّنـتِ الـذي يُوجِـبُ اللَّـوْمَ فَلُومِـي واعْـذُلي
إنْ تكُن أُختُ امْرِئٍ لِيْمَـتْ عَلَـى شَـفَقٍ منها عَلَيْـهِ فَـافْعَلي
جَلَّ عِنْـدي فِعْـلُ جَسّـاسٍ فَيَـا حَسْرَتي عَمَّـا انْجَلَـى أَوْ يَنْجَلِـي
فِعْلُ جَسّـاسٍ عَلَـى وَجْـدي بـهِ قَـاطِعٌ ظَهْـرِي ومُـدْنٍ أجَلِـي
لـو بِعَـينٍ فُقِئَـتْ عَيْنِـي سِـوَى أُخْتِهَـا فَانْفَقَـأَتْ لَـمْ أَحْفِـلِ
تَحمِلُ العَيْـنُ قَـذَى العَـينِ كَمَـا تَحْمِـلُ الأمُّ أَذَى مَـا تَفْتَلِـي
يـا قَتِيـلاً قَـوَّضَ الدَّهْـرُ بِـهِ سَـقْفَ بَيْـتِيَّ جَمِيعًـا مـن عَـلِ
هَـدَمَ البَيْـتَ الَّـذِي اسْـتَحْدَثْتُهُ وانْثَنَـى في هَـدْمِ بَيْتِـي الأوَّلِ
وَرَمَـانِي قَتْلُـهُ مـن كَثَـبٍ رِمْيَـةَ المُصْمَـى بِـهِ المُسْـتَأْصِلِ
يَـا نِسَـائِي دُونَكُـنَّ اليَـوْمَ قَـدْ خَصَّنِـي الدَّهْـرُ بِـرُزْءٍ مُعْضِـلِ
خَصَّنِـي قَتْـلُ كُلَيْـبٍ بِلَظًـى مـن وَرَائِـي ولَظًـى مُسْـتَقْبِلِ
لَيْسَ مَـن يَبْكِـي لِيَوْمَـينِ كَمَـنْ إنَّمَـا يَبْكِـي لِيَـومٍ يَنْجَلِـي
لَيْتَـهُ كَـانَ دَمًـا فَـاحْتَلَبُوا بَـدَلاً مِنْـهُ دَمًـا مِـن أَكْحَلِـي
إنَّنِـي قَاتِلَـةٌ مَقْتُولَـةٌ وَلَعَـلَّ اللهَ أَنْ يَرْتَـاحَ لِي

ولَمّا ذهبت إلى أبيها مرة، قال لها: ما وراءَك يا جليلة؟ فقالت: ثُكْـلُ العـدد، وحُزْنُ الأبد، وفَقْدُ حليل، وقَتْلُ أخٍ عن قليل، وبين هذين غرس الأحقـاد، وتفتت الأكباد، فقال لها: أوَيكفُّ ذلك كَرَمُ الصَّفْحِ وإغلاء الدّيات؟ فقالت: أمنية مخـدوع وربِّ الكعبة! أبألبان تَدَعُ لك تَغْلِبُ دَمَ ربِّها[٢٨]!. إن عاطفة المرأة هي مرآة الرحمـة

[٢٨] أحمد جاد المولى بك، محمد: أيام العرب في الجاهلية، انظر ص١٤٨-١٤٩.

www.mtenback.com

والشفقة عندما تمتحن في أعز ماتملك من أخ وزوج فيصير شأنها رحمة ورفقًا وبكـــاء مرًّا على ما أصابها، وقد جسدت جليلة شعور الرحمة وعبرت عنه بشعرها ونثرها.

معاني الرحمة في أمثال العرب:

إذا كان هذا شأن أهل الجاهلية مع الرحمة والشفقة وموقفهم منها، فما عسى أن يكون موقف الإسلام من ذلك.

ما عني دين بالرحمة والشفقة بمعانيها الظاهرة والباطنة، كما عني بها الإســـلام، وما حفل شعب من الشعوب بهاتين القيمتين كما حفل بها العـــرب، فبالإضافـــة إلى القرآن الكريم والحديث، طرح العرب رؤاهم في هاتين القيمتين في أمثالهم، ومارسوها في أفعالهم، وجعلوها خصيصة من خصائصهم التي تميزت بها أخلاقهم.

لقد ترجم العربي إحساسه بالرحمة والشفقة إلى ممارسة ذاتية، فكانتا من سلوكه اليومي في أسرته، و مع أقربائه وذويه، ومع مجتمعه وأبناء جلدته، كما تعـــدّى هـــذه العلائق التي خصّها بالرحمة لتنال الغريب سواء أكان عدوًا أم صديقًا، بـــل أوغـــل في سلوكه الحركي وهو يحمل هاتين الخصيصتين السلوكيتين إلى الحيوان، والنبات، وحتى الجمادات. فهم يؤثرون الرحمة على القوة، لأن الرحمة أصلاً تصدر عن نفـــس قويـــة وأخلاق متينة، وقلب كبير، وعقل راجح، إذ مثّلوا لذلك بكثير من أقولهم.

كما وجدوا أنها صفة لصيقة بالإنسان وهي بمثابة أعضاء الجســـم البشـــري، ولايمكن الخلاص منها، لذا وجب الإحساس بها، وصونها، ووصلها، ورعايتها كقولهم: «أنفك منك وإن كان أجدع»[٢٩]. أي فلان أخوك أو ابن عمـــك أو فلانـــة أختك وهم من أرحامك حتى لو فسُدَ هذا، أو عيبت تلك، وفي المعنى نفسه قـــالوا: «يدك منك وإن كانت شلاّء»[٣٠].

---

[٢٩] انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢١، المثل رقم ٥١.

[٣٠] الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٤٢١، المثل رقم ٤٧١٠.

www.mtenback.com

فالرحم في مفهومهم وسلوكهم رابطة، وعليه توجب على الإنسان رعاية الأرحام ووصلهم، وتوجيههم، وفي كل حركة من الحركات رحمة.

فإن أنت وجهت ضالاً من ذوي أرحامك، فأنت رحمته إشفاقًا عليه من ضلاله، ووقوع الإشفاق يعني الرحمة بمن أشفقت عليه.

ومن علامات الرحمة في النفس إعادة الإنسان ذي الرحم إلى دائرة رحمه، إذا كان قد ابتعد عنها نتيجة خلاف أو خصام أو منافرة لسبب من الأسباب، لذا وجب على المؤمن أن يجتهد بتقريب البعيد، وطيّ أسباب الخلاف وتجاوز مسبباته لذا قالوا:

«ارجعْ إن شئت في فَوَقي»[٣١] أي عُدْ إلى ماكنت وكن من الواصلين الراحمين وفي معناه يقول الشاعر:

هَلْ أَنْتِ قائلةٌ خَيْرًا وتَارِكَةٌ شَرًا، وراجعةٌ إن شِئْتِ في فَوَقِي

ومن ملحقات التراحم بين البشر وجوب اجتباء البشر واصطفائهم بناء على سيرهم وسلوكهم الصادر عن نفس طيبة؛ فتقريب من امتاز بالخلق الحسن والمعشر الطيب، من واجبات الراحم الرحيم في خلْق الله، فقد حثّ المثل على ذلك إذ جاء فيه:

«رُبَّ ابن عم ليس بابن عم»[٣٢]، وهذا يحتمل معنيين، أحدهما، أن يكون شكاية من الأقارب، وإعلانها يطرد الدسيسة فينبه المخطئ إلى خطئه، لعله يثوب إلى رشده، وذاك رحمة بك وبه، أي ربَّ ابن عم لا ينصرك ولا ينفعك، فيكون كأنه ليس بابن عم، والثاني «وهو الأقرب إلى إرادة المعنى كما أرى» أن يريد: رُبَّ إنسان من «الأجانب» يهتم بشأنك، ويستحي من خذلانك؛ فهو ابن عم (معنى)، وإن لم يكن

---

[٣١] النيسابوري، مجمع الأمثال، ج١، المثل رقم /١٥٦٥/ وتعليقاته.

[٣٢] النيسابوري، مجمع الأمثال، ج١، المثل رقم /١٦٣٨/ وتعليقاته.

www.mtenback.com

ابن عم (نسبًا).. وما يدعم الرأي الثاني ذلك المثل المتداول في الموضع نفسه والقائل: «رُبَّ أخ لك لم تلده أمك».

ومن دواعي الرحمة وشروطها الطبيعية المنسجمة مع تعاليم الدين الإسلامي نبذ التنافر، وإدانة التخاصم والاحتراب، والدعوة إلى التآخي والتراص لأن الله هيأ لعباده أسباب الرفاه والطمأنينة، والتخاصم كفر بنِعَمِ الله، وبطرٌ عليها فقالوا:

«رأيتُ أرضًا تتظالم معْزاها»[٣٣] أي تتناطح من سُمْنِها وكَثرةِ عشبها. ويضرب لقوم كثرت نعمتهم، ولذّت معيشتهم؛ فهم يبطرونها.

ومن رحمة الوالد على ولده، تربيتهم، وتهذيبهم، وحثهم على مكارم الأخلاق، وإنارة درب الحق أمامهم، وتبيان الخير وحضهم عليه، وتمثيل الشر وتقبيحه ونهيهم عنه، وحثهم دائمًا على المضي في دروب التقى والإيمان، وتجنب الإعجاب المفرط، والاغترار بالولد والعزة؛ فقالوا في ذلك:

«رُبَّ زارع لنفسه، حاصدٌ سواه»[٣٤].

قال ابن الكلبي: أول من قال ذلك: عامر بن الظرب، وذلك أنه خطب إليه صَعْصعة بن معاوية ابنته، فقال: يا صعصعة، إنك جئت تشتري مني كبدي وأرحَمَ ولْدي عندي منعتك أو بعتك، النكاح خيرٌ من الأيمة، والحسيب كفء الحسيب، والزوج الصالح يُعَدُّ أبًا، وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك... ثم أقبل على قومه فقال: يا معشر عدوان، أخرجت من بين أظهركم كريمتكم على غير رغبة عنكم، ولكن من خُطّ له شيء جاءه، رُبَّ زارع لنفسه حاصدٌ سواه، ولولا قَسْم الحظوظ على غير الحدود ما أدركَ الآخرُ من الأولِ شيئًا يعيش به، ولكن الذي أرسل الحَيَا أنبَتَ المرعى ثم قسمه أكْلاً لكل فمٍ بَقْلَة، ومن الماء جرعة، إنكم ترون ولا تعلمون.

---

[٣٣] الميداني، مجمع الأمثال، ج١، المثل رقم /١٦٧١/ وتعليقاته.

[٣٤] الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٣١٣، الخبر رقم /١٦٨٥/، وحكاية الخبر نقلها عن ابن الكلبي كما أثبت في الشروح على هامش الصفحة نفسها.

www.mtenback.com

في مجمل الخبر الرحمة بقومه والشفقة عليهم والحض والإرشاد، وفي جوهره الهداية والإنارة والتوجيه نحو مسالك الخير.

وقد استهجنت العرب الإفراط في عُجْبِ الرجل برهطه وعترته، والأقربين إليه، فقالت: «زُيِّن في عين والدِ ولد»[٣٥].

وفي المثل استنكار، واستهجان وردع، إذ مهما بلغ الولد من كمال الأخلاق، وسويّة الشمائل، فهو محتاج إلى الأكثر والأعلى والأشمل من الرحمة والرفق.

والمثل يروى عن عمر عبد العزيز أنه قيل له: لو بايعت لابنك عبد الملك مع فضله وشأنه، وورعه، فقال: لولا أني أخشى أن يكون زُيِّن في عيني منه ما يُزيَّن للوالد من ولده لفعلت.. ثم توفي عبد الملك قبل عمر رحمهما الله.

وصلة الرحم تتمثل في الإحسان إلى الأقارب، ووصلهم، ورعايتهم، وتفقد حاجاتهم النفسية، والمادية، والمعنوية، وفي ذلك معروف يعود على من صدرت الرحمة عنه في رحمه، فمثّلوا لذلك بقولهم:

«الزَّيْتُ في العجين لا يضيع»[٣٦].

أي أن الذي يشفق على أقربائه ويرحم ضعيفهم ويبر بهم يعمل خيرًا لنفسه ببرهم وخيرًا للناس ورحمة بهم وإن كان من أقرباءه فعمله هذا قد جمع الحسنيين الرحمة من حيث هي خلق محمود، وصلة مأمور بها.

وقد تمثلوا به للتدليل على من يرحم أقرباءه بأن يربيهم غيرّ مُقَصِّر في الشفقة عليهم. لذا ألحّوا على ضرورة العناية بذي الرحم، وفي الاستخبار عنهم، وتلبية حاجاتهم ومطالبهم، ومدّ يد العون إليهم، واستكمال ما قصر عنهم، ليشعروا بالسعادة، ويهنؤوا بها فقالوا ـــ في هذا الصدد أيضًا: «أسعدٌ أم سعيدٌ»[٣٧].

---

[٣٥] الميداني، مجمع الأمثال، ج١، المثل رقم /١٧٢٣/، ومعه إسناده.

[٣٦] الميداني، مجمع الأمثال، ج١، المثل رقم /١٧٤٣/.

[٣٧] الميداني، مجمع الأمثال، ج١، رقم /١٧٦٧/، ومعه شروحاته.

www.mtenback.com

والعلمان ولدان من أبناء ضبّة بن أدّ، ويراد بالمثل أن يبادر ذو الرحم إلى صلة رحمه، سواء أكان ذكرًا أم أنثى، خؤولة أم عمومة، مجاورًا أم بعيدًا شاكيًا أم عافيًا، فالرحمة أن تعطي حاجة المحتاج من ذوي رحمك.

ولم تتوجه الأخلاق العربية بالرحمة نحو الإنسان فحسب، بل تعدّتها لتنال الحيوان باعتباره من مخلوقات الله جلّ شأنه وإنسانية الإنسان تفرض عليه تكامل السلوك ليقع على المخلوقات كلها.

فأخذوا الحكمة الإلهية في طبائع الحيوانات ووصفوها بتصرف عقل الإنسان ليستفيد منها، وفي الحيوان رحمة بصغاره وشركائه في بعض الأحيان، ومن يتأمل قولهم: «أَرْغُوا لها حُوَارها تَقِرّ»[٣٨] وأصله أن الناقة إذا سمعت رُغاء حوارها سكنت وهدأت. فهذه رحمة أنزلها الله في أرضه وأولاها خلقه.

ونحن إذا حملنا الفعل «الحيواني» على محمل إنساني، فإننا سننصف أمًا فارقت أطفالها لخلل في علاقة زوجية ما، فتنافرت هي وزوجها وتباعدا، وكان الأطفال في رعاية الوالد، فهي تظل قلقة، معكّرة المزاج، لذا حض الشرع على ما وسمته القوانين الشرعية بالإراءة، أي: من حق أحد الوالدين أن يلتقي بأطفاله إن كانوا في رعاية أحدهما، وفي هذا رحمة للأم أو الأب، ورحمة بالأطفال أيضًا.

وإذا عكسنا الحكمة الإلهية وأخذناها من طبائع الإنسان «الرحمة» وطبقّناها أو قارنّاها مع طبائع الحيوان، فإننا نجد الأم رؤومًا بأطفالها إن كانت أنسًا أو بهيمة، لذا قالوا: «رَئِمْتُ له بَوَّضَيْم»[٣٩] وأصله أن الناقة إذا ألقت سقطها فخيف انقطاع لبنها، أخذوا جلد حوارها، فيحُشى تبنًا، ويُلطخ بشيء من سلاها، فترأمه، وتدر عليه، والناقة التي لا ترأم بوّها أو ولدها، يسمّونها العلوق، وأنشدوا[٤٠]:

---

[٣٨] الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢٩٢، المثل رقم /١٥٤٨/.

[٣٩] الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢٩٣، المثل رقم /١٥٤٩/.

[٤٠] الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢٩٣.

www.mtenback.com

أَنَّى جَزَوُا عَامِرًا سُوْءًا بِفِعْلِهِمُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوْءَى مِنَ الحَسَنِ
أَمْ كَيْفَ يَنفَعُ ما تُعْطَى العَلُوقُ بِهِ ... رِئْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ

ويقال: ناقة رائم، ورؤوم إذا رَئِمت بوّها أو ولدها، ومن هذه الصفة المشتقة عن الحيوان، أخذتها العرب فأطلقتها على الأم الحانية على أولادها، فقالت: أمٌّ رؤوم، وفيها مطابقة لـ /رؤوف/ والرأفة من منابع الرحمة.

أنشد المبرد قائلاً[٤١]:

رَئِمْتُ بِسَلْمَى بَوَّ ضَيْمٍ، وَإِنَّنِي ... قَدِيمًا لآبِي الضَّيْمَ وَابْنُ أُبَاةِ
فَقَدْ وَقَفَتْنِي بَيْنَ شَكٍّ وَشُبْهَةٍ ... وَمَا كُنْتُ وَقَّافًا على الشُّبَهَاتِ

وما الأفعال التي يقوم بها الإنسان تجاه النبات، كسقاية الشجرة، ورش الوردة بالماء، وتشذيب نباتات الزينة، وتنظيف ماحول النبات، إلا أفعال رحمة، جاءت عن شفقة بها من العطش، أو الذبول، أو التشرذم والاصفرار، أو الإضرار بالجذور.

وإذا ما توسعنا في مواطن الرحمة بوشيجتها العقلية والروحية فإننا سننظر في موقف الإنسان من الجمادات التي كان رحيمًا بها حريصًا عليها لارتباطها بوجوده في هذا الكون الذي خلقه الله ليكون سيدًا عليه، وإذا ما جمعنا توجهات الإشفاق على الجمادات فإن النتيجة تقوم على رحمة الإنسان بالطبيعة التي هي مصدر سعادته والطبيعة أمانة في عنق الإنسان لذا فمن واجبه أن يكون رحيمًا بها شفوقًا عليها، لأن نتائج الرحمة والشفقة الواقعة عليها ستعود على الإنسان، أي أن الرحمة بالطبيعة والشفقة عليها، هي رحمة بالإنسان ذاته، وهو الأمين المؤتمن على الكون الذي يعيش فيه.

---

[٤١] الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢٩٣.

www.mtenback.com

دروس في الرحمة:

تبرز الرحمة والشفقةقيمةً أساسية من جملة ما قام عليه التركيب النفسي للإنسان العربي منذ وجوده، إذ بدأت كما أشرنا من قبل فطرية، تظهر على شكل إضاءات تدلل على نزوعه نحو الرحمة والشفقة تجاه نفسه عندما يلبي حاجاته الجسدية فيأكل عندما يجوع، ويشرب عندما يشعر بالعطش، وينشد الدفء عندما يلسعه البرد وهكذا دواليك؛ ثم ارتقى هذا النزوع ليشمل الآخر المتمثل بزوجه وولده، واستمر في الصعود عندما انتمى إلى أسرة، وتوسعت إلى علائق رحمية تصاعدت باستمرار لتشكل انتماء إلى مجتمع، وعندما كرّم الله عز وجل هذا المجتمع بالدين عظم مفهوم الرحمة، وتحول من سلوك طبيعي إلى ممارسة تمليها الواجبات التي حددها الدين الإسلامي، فتحولت بسيادة الإسلام إلى ممارسة سلوكية عقدية، وتوسعت المساحات التي تقع عليها لتشمل الكائنات والكون بما فيه.

وقد انكب علماء الإسلام على تفصيل فاعليات الرحمة ووقوعها الشمولي على الكائنات والكون إذ خطُّوا عشرات الكتب النفيسة التي تؤرخ، وتؤكد، وتعلن عن سريان هذه القيمة في النفس فتبعث الحياة، فتبعث الحياة على الذات والأسرة والمجتمع، وعلى الكائنات الإنسان والحيوان والنبات والجماد وعلى الكون طبيعة في الوقت نفسه كما يبعث الدم الحياة في الجسد[٤٢].

و لم تقتصر عشرات المؤلفات المحفوظة على رصد مواقع الرحمة والشفقة في النفس وتوجهها نحو الآخر، بل فصّلت في القيم التي اشتقت منها، ودرجات السلوك

---

[٤٢] للتوسع والاستزادة يُراجع، البيهقي: الآداب، في صلة الرحم ص٣٣، في رحمة الأولاد، ص٤٠، في تراحم الخلق ص٤٨، في رحمة الصغير وتوقير الكبير ص٥٥. وكذلك البخاري، الأدب المفرد، ج١، أرحم من في الأرض، الباب ١٧٤، ص٤٦١، رحمة العيال، الباب ١٧٥، ص٤٦٣، رحمة البهائم، الباب ١٧٦، ص٤٦٤. ويراجع ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير، منشورات دار صادر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ، ص٣٩ وما بعدها.

www.mtenback.com

التي انشعبت عنها، ورتبتها في درجات، بناء على صدورها عن النفس، وإحساس الإنسان بها، وصنّفت هذه الدرجات على السُلّم الإيماني، فأقرت ما يبعث الرحمة في النفوس وأناطت عمل ذلك بما ينفع المجتمع الذي ينتمي إليه الإنسان الشفيق، فأضحت الرحمة فضيلة يحرص عليه أهل الشأن من الناس ومن يتولون الأمور الجسام في الأمة مثل أمراء الجيوش وشيخ القبيلة وزعيم العشيرة ورب الأسرة، والمربي، والإداري، والمعلم وهكذا..! إذ أحلّتها في كل الأشياء الدنوية بلا استثناء.

وقد أفاض القرآن الكريم في إبراز فعل الرحمة وأكدها قيمة إنسانية وجعل لها نسبةً إلهية خالدة كما أصّل معانيها وبيّن درجاتها، إذ قامت المعاجم وكتب اللغة بتفصيل معنى الرحمة لسعة مدلولها واهتمام الناس بها ولأنها سلوك إنساني رفيع تقوم عليه حياة مطمئنة راضية عمادها الرفاه للبشرية والرفق بالإنسان.

وقد قدّم بعض الباحثين عليها إحدى مرادفاتها وهي الرأفة، لشمول معناها على جوهر معنى الرحمة فرأى أن الرأفة هي الرحمة وقيل بل هي أعلى درجات الرحمة، والرأفة أخصّ من الرحمة وأرقّ، ولاتكاد تقع في الكراهة، والرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة. كما مرّ آنفًا.

وأما الرحمة: فهي مطلق «العطف»، ويلاحظ فيها الصلاح والخير ولو كانت ملازمة للألم والكراهة، كما في معالجة المريض بما يكره.

فالرأفة أقوى وأرفع من جهة الكيفية، والرحمة أعمّ من جهة الكميّة، وأكثر موردًا واتصالاً بحياة الناس.

وقد كان من أسماء الله الرؤوف قبل الرحيم، والرحمة في مقام التعلق بالنسبة إلى الخلق، وهو مقام ظهور الرأفة وتجليها ووظيفتها في المجتمع الإنساني بوجه خاص والمحيط والبنية بوجه أعم. وإذا أريد موضوع الرأفة فتذكر مجردة من ذكر الرحمة.

www.mtenback.com

وهذا بخلاف ذكر الرحمة بعد الرأفة؛ فإنه في موارد تقتضي فاعلية الرحمة وجريانها وتعلّقها على العباد كما في قوله جلّ وعلا: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٤٣].

وعندما جاء الإسلام بالرحمة وجعلها صفة من صفات الله، وخلقًا من أخلاق نبيه وأنعم بها حتى صارت الرحمة: الإنعام على المحتاج إليه، وليس كذلك النعمة؛ لأنك إذا أنعمت بمال تعطيه إيّاه، فقد أنعمت عليه، ولا تقول إنك رحمته. وجاء القرآن بوصف الله بالرحيم مبالغة، وأشد مبالغة منه الرحمن لأنه أشد عدولاً بالفعل رحم. كما تكون الرقة والغلظة في القلب وغيره خلقة فإن الرحمة، فعل الراحم والناس يقولون رقّ عليه فرحمه ويجعلون الرقة سبب الرحمة. ثم إن اللطف والرأفة أخصّ من الرحمة وهناك صلات دقيقة بين هذه الأفعال والأسماء ودلالاتها ولكنها جميعها تأخذ معنى الرحمة وتدل على رقة القلب نحو الإنسان والحيوان والرحمة عامة شاملة.

هكذا تتناول معاجم اللغة العربية معاني الرحمة واللغة العربية من أشرف اللغات، لأنها متسعة المدرج، نقية المبنى، شريفة المعنى، بيّنه الهدف، هادئة الجَرْس، رقيقة الحاشية، فصيحة الحرف، طاهرة المغزى، واضحة التوجه، إضافة إلى خصوصيتها الدلالية؛ لذا خصّها الباري - عزّ وجل - بالمكانة الأرقى، إذ جعلها لغة القرآن الكريم الدستور الشامل للبشرية جمعاء، وبها لهج الإسلام العالمي، ومنها نهل الفكر ليعطي للحضارة بعدًا وجوديًا شاملاً.

وإذا كنا في صدد إعطاء المعنى الشمولي للرحمة، وما اشتق منها، وما تفرع من الاشتقاق نفسه، وما تولّد من متقاربات معنوية للفظ في معانيه القريبة والبعيدة، والعريضة والضيّقة، والمباشرة وغير المباشرة، فإننا ندلل بذلك على دقة اللغة العربية

---

[٤٣] سورة التوبة: ١٢٨.

www.mtenback.com

ليس في الدلالة على الجوهر فحسب، بل وفي تجزئة أسس هذا الجوهر، وإسباغ المعنى على أدقّ جزئياته:

فالرِقّة: توجد في القلب أولاً، ثم يحصل اللطف، ثم العطف، ثم المحبّة، ثم الشفقة، ثم الرأفة، ثم الرحمة التي هي تجلّي الرأفة وظهور الشفقة في مقام التعلّق والإظهار، ويلاحظ فيها الخير والصلاح، ولو أوجدت كراهة أو ألمًا أو ابتلاءً، كما في إسقاء الدواء المرّ للمريض وأما الإحسان والإنعام والإفضال فيصدق في موارد الرحمة مع خصوصيات وقيود ملحوظة فيه، وكل واحد منها نوع من الرحمة[٤٤] والفرق بين صيغة الرحمن والرحيم هو اختلاف وزنهما، وما يختص بكل من الهيئتين فإن الفعل يدل على اللزوم ويُبنى للدلالة على الثبوت، فالحميد والعزيز والكريم والمجيد والبصير وصيغة الفعل تدل على امتلاء وحرارة ووفرة ؛ مادية أو معنوية.

وفي الرحمة امتلاءٌ رحمةً، ولما كان كل شيء بحسبه، فتكون الرحمة الكلية الواسعة لجميع الموجودات، وقاطبة الممكنات ولهذا أطلقت هذه الصيغة معرفة باللام التي تفيد الاستغراق.

وقد ذُكرت في القرآن الكريم معرّفة في سبعة وخمسين موضعًا[٤٥].

وأما عمومية الرحمة وسعتها فلأنها من مقام الخالق المكوّن، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٤٦]، وقال أيضًا: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٤٧]،

---

[٤٤] المصطفوي، التحقيق، ص٩٠-٩١.

[٤٥] عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (بحاشية المصحف الشريف)، منشورات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار المعرفة، بيروت، ط٤، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، من ص٣٨٧-ص٣٩٣.

[٤٦] سورة الأعراف: ١٥٦.

[٤٧] سورة الأنعام: ٥٤.

www.mtenback.com

وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[٤٨]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[٤٩].

وقال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾[٥٠]، وقال أيضًا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٥١]، وقال سبحانه: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾[٥٢]، وقال أيضًا: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[٥٣]، وقال في آية أخرى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[٥٤].

وفي مقام الهداية قال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾[٥٥]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٥٦]، وقال في آية أخرى: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[٥٧].

---

[٤٨] سورة الأنعام: ١٤٧.

[٤٩] سورة غافر: ٧.

[٥٠] سورة الزخرف: ٣٢.

[٥١] سورة آل عمران: ١٥٩.

[٥٢] سورة الملك، ٣.

[٥٣] سورة البقرة: ١٠٥.

[٥٤] سورة القصص: ٧٣.

[٥٥] سورة الأعراف: ٢٠٣.

[٥٦] سورة الأنبياء: ١٠٧.

[٥٧] سورة النمل: ١٩.

www.mtenback.com

وفي مقام رفع الضرر قال سبحانه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٥٨]، وقال: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾[٥٩].

وفي مقام المغفرة والعفو قال تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾[٦٠]، وقال أيضًا: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾[٦١]، وقال سبحانه: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾[٦٢].

وفي مقام التفضل قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾[٦٣]، وقال في آية أخرى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٦٤].

وفي مقام التوفيق والإصلاح قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٦٥].

وفي مقام إيجاد مقدمات للرحمة قال سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٦٦]، وقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٦٧].

---

[٥٨] سورة الأنبياء: ٨٣.
[٥٩] سورة المؤمنون: ٧٥.
[٦٠] سورة الأعراف: ٢٣.
[٦١] سورة المؤمنون: ١١٨.
[٦٢] سورة الأعراف: ١٥٥.
[٦٣] سورة النور: ٢١.
[٦٤] سورة النور: ١٤.
[٦٥] سورة الأنبياء: ٧٥.
[٦٦] سورة الأنعام: ١٥٥.
[٦٧] سورة آل عمران: ١٣٢.

www.mtenback.com

وقد تُذكر الرحمة مع غير الرحمن كما في قوله سبحانه: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[٦٨]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٦٩]، وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[٧٠]، وقوله: ﴿أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[٧١].

وقد يكون موضوع خارجي مصداقًا للرحمة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٧٢]، وقوله: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[٧٣].

ومما يدل على سريان الرحمة وعموميتها قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾[٧٤]، وقوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾[٧٥]، وقوله: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٧٦].

ثم يُستثنى من عموم الرحمة؛ ما إذا كان موجبًا للفساد، ونتيجة خلاف في المطلوب كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٨٩].

---

[٦٨] سورة الإسراء: ٢٤.
[٦٩] سورة الفتح: ٢٩.
[٧٠] سورة البلد: ١٧
[٧١] سورة الكهف: ٨١.
[٧٢] سورة النمل: ٧٧.
[٧٣] سورة التوبة: ٦١.
[٧٤] سورة العنكبوت: ٢١.
[٧٥] سورة الإسراء: ٥٤.
[٧٦] سورة النمل: ٤٦.
[٨٩] سورة المؤمنون: ٧٥.

www.mtenback.com

(لو) هنا جاء شرطها (رحمناهم) في مقدمة افتراضية قد حُسمتْ نتيجتها في علم الله الأزلي، فالنتيجة هي إصرارهم على الكفر، وهذا مبني على المقدمة التي هي رفع الضر عنهم والذي هو عن طريق رحمته – عز وجل – فالمقدمة (رحمة بهم) ليست موجبة للفساد بمعنى: أنها لو لم تكن لما وقع فسادهم، وإنما هي كاشفة لموانع زيادة فسادهم؛ لأن فسادهم موجود في كل حين، سواء أرحمهم أم لم يرحمهم.

وفي مقابل هذا الاستثناء ؛ تعبيرٌ في حق المؤمنين المتقين يدل على تشريفهم وتجليِّ الرحمة لهم، بعد أن أكرمهم ببلوغ مقامها، فيعبّر بإدخال هؤلاء في رحمته، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾[٩٠]، وقال: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[يعني لوطًا] [٩١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٩٣]، وقال أيضًا: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾[٩٤].

ولاشك أن الرحمة فيض منبسط، ونور متسع، ومحيط بجميع عالم الوجود، سماءً وأرضًا، ظاهرًا وباطنًا، مبنىً ومعنىً، روحًا وعقلاً، إيجادًا وإبقاءً ماديًا وروحانيًا. ونور الرحمة في سريانه وشموله مستمد من رحمة الله الشاملة التي عمت ووسعت كل شيء كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[٧٧].

---

[٩٠] سورة الجاثية: ٣٠.

[٩١] سورة الأنبياء: ٧٥.

[٩٣] سورة الأنبياء: ٨٦.

[٩٤] سورة النساء: ١٧٥.

[٧٧] سورة غافر: ٧.

www.mtenback.com

وجاء في وصفه سبحانه بـ «الرحمن» في أكثر من آية لأنها صيغة تدل على الثبات والكمال، أما «الرحيم» فإن الصيغة تدل على الثبوت واتصاف الذات بالوصف على سبيل اللزوم. وهو نور رحمة راسخة، وعلى هذا يُقال: إنه رحيم بالمؤمنين.

وقد ذكر لفظ «الرحيم» في القرآن المجيد في مئة وخمسة عشر مورداً، منها بعد كلمة (الغفور) في اثنين وسبعين مورداً وبعد كلمة (التوّاب) في تسعة موارد، وبعد كلمة (رؤوف) في تسعة موارد أيضاً، وذكر بعد لفظات: (ودود)، (العزيز)، (الرحمن)، (البرّ).. أيضاً[٧٨]. وقد ورد كل من هذه الألفاظ بمناسبة اقتضاء المورد.

وكل هذه الموارد التي استعمل لفظ (الرحيم) فيها؛ مرجعها إلى توبة العباد ومغفرة الذنوب، والعفو عن الخطايا، وما يرجع إلى الأمور المعنوية.

ثم أن الرحيم المطلق هو الله تعالى، كما في سائر أسمائه الحسنى، وأما الرحيم في الجملة فيطلق على كل ذي رحمة باعتبار تلك الرحمة ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٧٩].

وأما الرَّحِم: فهذه الصيغة من صيغ الصفة المشبهة؛ والاستمرار والامتداد فيها أقل من صيغة الرحيم.

فرحمة الله واسعة: وهي التي عمت الخلق برهم وفاجرهم وقد عبّر عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[٨٠] وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[٨١].

---

[٧٨] عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (الجداول المفهرسة في نهاية المجلد).

[٧٩] سورة الفتح: ٢٩.

[٨٠] سورة الأنعام: ١٤٧.

[٨١] سورة غافر: ٧.

www.mtenback.com

ورحمة مكتوبة: وهي التي خصّ الله بها عباده المؤمنين، وعبر عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٨٢].

وقد فرّق بينهما في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾[٨٣] فأخبر عن سعتها ثم بين أن المكتوبة منها خاصة لمن اتصف بتلك الصفات التي ذكرها لمستحقيها وعلى رأسها تقواه - عز وجل -.

فالرّحِم بمعنى من يقوم به الرحمة على سبيل الثبوت، والمصداق الأتم له من بين الناس هو الأقارب من ذوي النسب الأقرب فالأقرب.

وأقرب الأرحام للمرأة هو ولدها الذي تلده وتربيه، ولّما كان الولد في مقام المرحمة والقرابة بمنزلة لا يوجد في الطبيعة ما فوقها؛ يطلق على محل نشوئه وتكوّنه في الرحم ويشار إليه باليد وما هو سبب بقائه وحياته.

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٨٤]، أي مع أن الأرحام ومن بينهم الأولاد أقرب الناس إليكم رحمة ومودة. و﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[٨٥]، وقوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ﴾[٨٦].

فهذه الآيات الكريمة تدل على أن الحكم والسلطة وكيفية التقدير والتصوير في (الأرحام) لله تعالى، إذ إن عالم التكوين والآخرة ليس للإنسان فيهما اختيار، ودار

---

[٨٢] سورة الأنعام: ٥٤.

[٨٣] سورة الأعراف: ١٥٦.

[٨٤] سورة الممتحنة: ٣.

[٨٥] سورة آل عمران: ٦.

[٨٦] سورة الرعد: ٨.

www.mtenback.com

الاختيار هي الحياة الدنيا وهي التي يجب أن يعمل الإنسان فيها للخير والحب والرحمة التي تعين الآخرين وتساعدهم.

﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾[٨٧].

فرحمة الأقرباء والإحسان إليهم مقدم في النص القرآني، فهم أولى بالرحمة وهم أجدر بالعطف والإحسان، وقد جاءت نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة المطهرة بهذا المعنى على أن يبدأ المرء بأقرب الناس إليه ثم يتناول من هم أبعد منهم في عطفه ورفقه ورحمته، وقد كانت العرب تصل الرحم وتحسن إلى القرابة في الجاهلية فلمَّا جاء الإسلام أكدَّ ما كانت العرب تعرفه وتصنعه فاجتمعت لهم في ذلك العادة الحسنة من أخلاقهم والأجر الذي يرجوه المحسنون منهم في آخرتهم.

والنبي ﷺ مثال للرحمة العامة الشاملة للعالمين: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٨٨]، وكما أن قطع الرحم الظاهرة يوجب الاختلاف في الأمور الفردية والاجتماعية، فكذلك الانقطاع عن الأرحام الروحانيين الذين يحبون الخير وصلاح المجتمع والسعادة والفوز والنجاح والفلاح أي أن الهُداة والدُعاة والعلماء وكل من يدفعون العقل إلى الهداية والروح إلى الطمأنينة والاستقرار، هم من ذوي الرحم الروحاني، وقطعهم يوجب الخيبة والضلالة والحرمان في الدنيا والآخرة.

---

[٨٧] سورة الأحزاب: ٦.

[٨٨] سورة التوبة: ١٢٨.

www.mtenback.com

الرحمة والشفقة في أحاديث النبي ﷺ:

وما سرّ نجاح الدعوة الإسلامية والرسالة المحمدية إلا الرحمة فالنبي ﷺ، نبي هداية ورحمة، بعثه الله رحمةً للعالمين، ولو كان فظًا غليظ القلب لانفض الناس من حوله ولأعرضوا عن دعوته، والإسلام دين الفطرة بعث به الله نبيّه محمدًا ذا الخلق العظيم الذي لامس برسالته وخلقه إنسانية البشر فاستوعبها وسقى نفسها بمدد عبقريّ، فجذب إليه النفوس وهوت إليه الأفئدة إذ كان خلقه القرآن. امتلأ صدره بالرحمة للناس وحبُّ الخير والهداية لهم، حتى طلب منه الوحي الإلهي ألا يرهق نفسه ولا يأسف على ضلال الكافرين وعنادهم، مما يختلج في نفسه من الرحمة بهم.

وكيف تهوي الأفئدة هويًا إلى إنسان؟ وبأي سرٍّ تُمتلك القلوب؟ لاشك أنّ مفتاح الرحمة تُفتح به مغاليق القلوب والصدور.

وسبب ذلك أن الرحمة غاية ما تحتاج إليه النفس الإنسانية وما من إنسان تعرَّض لأسباب الهلاك مرةً إلا وتاقت نفسه إلى رحمة سماوية أو أرضية تنجيه وتأخذ بيده.

فهذا أحد أسرار نجاح قائد الدعوة الإسلامية في الوصول إلى الناس، وكان قوله كما هو في فعله؛ رحيمًا داعيًا إلى الرحمة، إنسانًا داعيًا إلى الإنسانية. ولذلك قال: «من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء»[٨٩].

فنبَّه إلى أن رحمة الله بعيدة عمّن لم تتذوق قلوبهم شعور الرحمة بالمخلوقات كلها. فكأن الرحمة تكاد أن تصير ركنًا من الإيمان يُحرم به مَنْ لا يتعلّمه.

وأجرى عليه السلام المقابلة في وقوع الرحمة ومستلزماتها على من يصدرها من عباد الله إلى الآخرين، لأن الله لا يضيع أجر المحسنين: «من لا يرحم لا يُرحم، ومن لا يَغفر لا يُغفر له، ومن لا يَتُبْ لا يتوب الله عليه»[٩٠].

---

[٨٩] علي بن حسام الدين الهندي، علاء الدين: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتصحيح وتفسير وفهرسة بكري حيّاني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٥، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج٣، ص١٦٢، رقم الحديث ٥٩٦٥.

[٩٠] علاء الدين، كنز العمال، ص١٦٢، الحديث ٥٩٦٦.

www.mtenback.com

والرحمة تقع عادة على الضعفاء والشيوخ والأرامل والمساكين وغيرهم ممن يحتاج إليها، والرحماء لهم مرتبة دنيوية، ومكانة أخروية: «رحماءُ أمتي أوساطها»[٩١] فأوساط الناس يرون الأشياء رؤية طبيعية سوية ولا تغلب عليهم نزعات خاصة تبعد بهم عن الاعتدال، وهكذا تتحرك فيهم الدوافع الإنسانية عفويةً وتؤدي وظائفها بمرونة.

أما من تنتفي عنده الرحمة: فإنه لا محالة خاسرٌ في آخرته، و «خاب عبدٌ وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر»[٩٢].

والرحمة خَلَّة وجدت في قلب من رضي الله عنه، فإن أظهرها ابتغاء رحمة الله فقد ربح الدنيا، ومن جفا عنها خسر آخرته وخسر رضا الناس عنه وحبهم له. «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء»[٩٣].

وأكدّ الرسول ﷺ على أن الرحمة انتماء لجانب الإيمان، وانتسابٌ لصفوف المؤمنين: «من لم يرحم صغيرنا، ولم يعرف حق كبيرنا، فليس منا»[٩٤].

تلك النماذج من أحاديث الرسول تؤكد على وجوب وقوع الرحمة على المخلوقات بمعناها الشامل، ونجد أنه شمل التصنيف الاجتماعي بدءًا من الصلة الرحمية المتمثلة بالقربى بل أكد على وجوب الرحمة على درجات ذوي الرحم.

ففي باب رحمة العيال كان الرسول ﷺ قدوة يعطي المثل بنفسه على وجوب شمول العيال برحمة رب الأسرة: روى أنس أنّ النبي ﷺ كان «أرحم الناس بالعيال. وكان له ابن مسترضع في ناحية المدينة، وكان ظئره قينًا. وكنا نأتيه وقد دخن البيت بإذْخِر فيقبّله ويَشُمُه»[٩٥].

---

[٩١] علاء الدين، كنز العمال، ص١٦٢، الحديث ٥٩٦٤.

[٩٢] المصدر السابق، ص١٦٢، الحديث ٥٩٦٨.

[٩٣] المصدر السابق، ص١٦٣، الحديث ٥٩٦٩.

[٩٤] المصدر السابق، ص١٦٣، الحديث ٥٩٧٠.

[٩٥] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، تحقيق فضل الله الجيلاني، نشر وتوزيع المكتبة الإسلامية، حمص، سوريا، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ص٤٦٣، الحديث رقم ٣٧٦.

www.mtenback.com

أهل الرحمة:

وقال ﷺ: «والرَّحم شَجْنَةٌ من الرحمن فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله»[٩٦].

ثم أكّد على ذلك، ونبّه إلى خطأ العبد عندما تنتفي الرحمة في نفسه تجاه الآخرين! «لا يرحمُ الله من لا يرحم الناس لأن الله عز وجل يقول: إن كنتم ترجون رحمَتي فارحموا خلقي»[٩٧]، فميدان الرحمة واسع والمشمولون بها كثيرون.

وقد جعل الله شرط رحمته للإنسان رحمَة الإنسان لغيره من الناس الذين يحتاجون الرحمة منه والرفق، ومن أهم هؤلاء اليتيم الذي أوصى النبي برحمته وحسن كفالته وأكد أمره بالفعل والتوجيه لضمان حقه في الحياة، والبر به ورعايته في ضعفه وحاجاته فقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وألصق الشاهدتين اليمنى واليسرى ببعضهما»[٩٨]. وبشرّ بالجنة أصحاب البيوت التي تكفل الأيتام، ولوّح بعذاب النار للمسيئين إلى اليتيم في قوله: «خير بيت بيت فيه يتيم يُحسن إليه، وشر بيت بيت فيه يتيم يُساء إليه، وأنا وكافل اليتيم في الجنّة هكذا...»[٩٩].

ولم يترك النبي ﷺ ذا ضعف إلا وأوصى به، وحث على الرحمة الشاملة وضرورة وقوعها عليه، حتى يشعر بالأمن والطمأنينة وبالتالي ترتفع نفسه إلى مصاف القوة: «إن الله تعالى إذا أراد بالعباد نقمة أماتَ الأطفال، وعقمّ النساء، فتنزل فيهم النقمة، وليس فيهم مرحوم»[١٠٠]. أي أن أهل الرحمة هم أضعف الناس الذين ترق لهم القلوب الرحيمة.

---

[٩٦] علاء الدين، كنز العمال، ص١٦٣، الحديث رقم ٥٩٦٩.

[٩٧] المصدر السابق، ص١٦٧، الحديث رقم ٥٩٩٠ ورقم ٥٩٩١.

[٩٨] المصدر السابق، ص١٦٨، الحديث رقم ٥٩٩٣.

[٩٩] المصدر السابق، ص١٦٨ الحديث رقم ٥٩٩٤.

[١٠٠] المصدر السابق، ص١٧٠، الحديث رقم ٦٠١١.

www.mtenback.com

كما وضع درجات للضعف إذ وضع الطفل بحال كما البهيمة، فأوصى بالرحمة به: «لولا عباد ركّع، وصبيةٌ رضّع، وبهائم رُتّع، لصُبَّ عليكم العذاب صبًّا، ثم رصّه رصًّا »[١٠١].

ولأن الشيوخ قد وهنوا عزيمة وجسمًا، فضعفوا، فهم في حاجة إلى الرحمة مثلهم مثل الأطفال والنساء، فأوجب الرسول على المؤمنين الطالبين رحمة الله أن يرحموا الشيوخ، لكي يرحمهم الله: «إن من إجلالي توقير الشيخ من أمتي»[١٠٢].

وأناط المهمة بالشباب إضافة إلى القادرين، فالشباب صائر إلى شيخوخة، وكما يدين المرء يُدان، دنيا وآخرة: «ما أكرم شاب شيخًا لسنّه ؛ إلا قيّض الله له من يكرمه عند سنّه»[١٠٣]. حث على مأمول الجزاء في آخر الحياة عندما يتعرض الإنسان إلى حال الضعف الذي لابد واقع إن لم يدركه الموت قبل ذلك.

وبشر الرسول الأمة التي ترعى ضعفاءها بالنصر، فدعوة الضعيف مقبولة عند الله عز وجل، وفيها مواساة ورحمة وتكريم: «إنما تُنصر هذه الأمة بضعفائها، بدعواتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم»[١٠٤].

وقال: « البركة في أكابركم، والخير مع أكابركم »[١٠٥].

ولا شك أن حاجة الناس كلهم متعلقة بالرحمة، إن عباد الله بأجمعهم بحاجة إلى الرحمة، فإن حلّت على الجميع في الدنيا الفانية ساد التراحم، وإذا حصل فإن الإيمان يتوسع حتى يَشْمُل العامة والخاصة، وتشمل رحمة الله جلّ شأنه عباده، لأنهم دخلوا

---

[١٠١] علاء الدين، كنز العمال، ص١٧٠، الحديث رقم ٦٠١٢.

[١٠٢] المصدر السابق، ص١٧٢، الحديث رقم ٦٠١٣.

[١٠٣] المصدر السابق، ص١٧٢، الحديث رقم ٦٠١٤.

[١٠٤] المصدر السابق، ص١٧٢، الحديث رقم ٦٠١٧.

[١٠٥] المصدر السابق، ص١٧٢، الحديث رقم ٦٠١٥، والحديث رقم ٦٠١٦.

www.mtenback.com

إحساساً وعملاً في رحمته في الآخرة: «ابغوني ضعفاءكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»[١٠٦].

إنه إشارةٌ إلى القيمة السامية التي يرسّخها الإسلام في نفس الإنسان، وهو أنبل المخلوقات قاطبة، فالضعيف قوي برحمة الله ورحمة الآخر، والقوي يزداد قوة وإيماناً بإجراء الرحمة مجراها كما أمر الله تعالى، وكما حض عليه الرسول الكريم، وتطلبه القيم الإنسانية: «استوصوا بالكهول خيراً، وارحموا الشباب»[١٠٧].

فرحمة الشباب تعني رعايتهم وتوجيههم، وكبح جماح طيشهم، وتهذيب رغباتهم، وزرع القيم الإنسانية السامية في نفوسهم، وتنمية الأخلاق في ذواتهم، ورسم الطريق المستقيمة نحو الأهداف المثلى لتحديد خطواتهم إلى المستقبل حتى تنهض الأمة بشبابها.

كذلك فإن من الواجب الأخلاقي على المؤمن أن يجري الاحترام مجرى نفسياً، ويطبّقه تطبيقاً عملياً ففيه فعل رحمة، تطمئن الشعور وتهذب الإحساس، وتعطي صورة صحيحة لأخلاق المجتمع المؤمن الفاضل: «ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويُجلّ عالمنا»[١٠٨].

وفي المعنى ذاته، توضيح لوقوع الفعل على الغريب والقريب، لأنهم سواسية في الرحمة: «ليس منا من لم يجلّ كبيرنا، ولم يرقّ لصغيرنا، ويرحم ذا الرحم منا؛ فلسنا منه، وليس منّا»[١٠٩].

---

[١٠٦] علاء الدين، كنز العمال، ص١٧٩، الحديث رقم ٦٠٤٨.

[١٠٧] المصدر السابق، ص١٧٩، الحديث رقم ٦٠٥٠.

[١٠٨] المصدر السابق، ص١٧٩، الحديث رقم ٦٠٥٢.

[١٠٩] المصدر السابق، ص١٧٩، الحديث رقم ٦٠٥٤.

www.mtenback.com

وقد ربط الرسول ﷺ الاحترام والتوقير بالرحمة ربطًا محكمًا، وجعلها من الخلال، والطبائع الواجب التطبع بها ليحظى المرء برضوان الله وصحبة الرسول ﷺ؛ فهو يخاطب أنس بن مالك مؤكدًا على هذه الحقائق بقوله: «يا أنس! ارحم الصغير، ووقّر الكبير، تكن من رفقائي»[١١٠].

ولأن مخلوقات الله خلقت لغاية تبرر بعض سبب الوجود الكوني، فلكل مخلوق دوره في سيرورة هذا الكون المسخر لسعادة عباد الله، فقد خصها الله برحمته منذ خلقها على الصورة التي هي عليها، وأمر برحمتها من قبل العباد العاقلين، وحض الرسول على تنفيذ أوامر الخالق عز وجل: «ينادي مناد في النار: يا حنّان، يا منّان، نجني من النار، فيأمر الله ملكًا فيخرجه حتى يقف بين يديه، فيقول الله عزّ وجل: هل رحمت عصفورًا؟»[١١١]. والرحمة الشاملة لا تقف عند حد حتّى إنّ ما أحلّ الله من الطير والحيوانات للذبح والأكل يجب أن يُرحم وهو يقدم للذبح، فقد أوصانا الرسول ﷺ بالرحمة في التعامل مع تجهيزها للطعام وآداب أكلها:

«قال رجل: يا رسول الله إني لأذبح الشاة فأرحمها أو قال: إني لأرحم الشاة أن أذبحها قال: والشاة إن ترحمها يرحمك الله»[١١٢].

وطلب الترفق بالحيوانات الأليفة والتعطف بها، وإحلال الرحمة الإنسانية عليها، لأنها من مخلوقات الله التي خلقت لخدمة الإنسان ووجبت رحمته لها بقلبه وإحساسه حتى تكون الرحمة جبلّة وطبعًا يتعامل به الإنسان مع كل ما يحيط به من أشياء.

ففي الحديث: «بينما رجل يمشي بطريق، اشتد به العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغني، فنزل البئر، فملأ خُفّه ثم أمسكها فسقى

---

[١١٠] علاء الدين، كنز العمال، ص١٧٩، الحديث رقم ٦٠٥٥.

[١١١] المصدر السابق، ص١٦٧، الحديث رقم ٥٩٩٢.

[١١٢] المصدر السابق، ص٤٦١، الحديث رقم ٣٧٣.

www.mtenback.com

الكلب فشكر الله له، فغفر له؟ قالوا: يا رسول الله وإنَّ لنا في البهائم أجرًا؟ قال: في كلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجرٌ»[113].

وعرض الرسول ﷺ على المؤمنين عاقبة من تنتفي عن ذاته الرحمة في الحيوان، ليؤكد أن الخير به يُجزى، والشر به يُلقى، فاستشهد بصاحبة القطة التي أهملتها وعذبتها ولم ترحمها، وما آلت إليه في حساب الله جلّ وعلا:

قال: «عُذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعًا فدخلت فيها النار. ويقال والله أعلم: لا أنتِ أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها، ولا أنتِ أرسلتها، فأكلت من خشاش الأرض»[114].

الرحمة في نفس الرسول ﷺ:

والرسول عليه السلام هو المثل الأعلى والقدوة الحسنة، وقد وصفه التنزيل المجيد في أكثر من آية بفضيلة الرحمة، فقال في سورة آل عمرن: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[115]، وقال في سورة التوبة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[116]، وقال في سورة الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[117]. إلى غير ذلك من الآيات.

---

[113] البخاري، الأدب المفرد، ص٤٦٤، الحديث رقم ٣٧٨.

[114] البخاري، الأدب المفرد، ص٤٦٥، الحديث رقم ٣٧٩.

[115] سورة آل عمران: ١٥٩.

[116] سورة التوبة: ١٢٨.

[117] سورة الأنبياء: ١٠٧.

www.mtenback.com

ولقد تحدث رسول الله عن صفة الرحمة في نفسه الشريفة، فجاء عنه أكثر من حديث حول هذه الصفة، فقال: «أنا رحمة مهداة»، وقال: «إنما بُعثت رحمة ولم أُبعث لعّانا»، وحبب بالرحمة وذكّر بثوابها وحسن عاقبتها، فقال: «من رحم ولو ذبيحة عصفور رحَمه الله يوم القيامة». ووصف من يتنكر لصفة الرحمة بالشقاء، فقال: «لا تُنزع الرحمة إلا من شقيٍّ»، وكأن الإمام علي بن أبي طالب اهتدى بهذا الهدي النبوي فقال في نهج البلاغة هذه العبارة: «ليتأس صغيركم بكبيركم، وليرأف كبيركم بصغيركم»[١١٨].

وما أكثر المواقف التي تجلت فيها رحمة من رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويكفي أن يعود الإنسان إلى كتاب مبسوط من كتب السيرة أو الشمائل: ليقرأ الشواهد العريضة على رحمة الرسول عليه السلام التي اتسعت وانفسحت، حتى شملت جوانب عديدة من الحياة والأحياء، لقد رحم الصغير والكبير، والقريب والبعيد، والراشد والشارد، والصديق والعدو، والإنسان والحيوان.

وقد بلغ من رحمته أنه كان يصلّي بالناس رجالاً ونساء، وفي نيته أن يطيل صلاته استلذاذًا لها، واستغراقًا فيها، ولكنه يسمع بكاء طفل، فيخفف في صلاته رحمة بالطفل الباكي، لعلّه في حاجة إلى رعاية، ورحمة بأمه التي تصلي خلفه حتى لا تقلق على وليدها.

وقد علمنا عليه الصلاة والسلام كيف نتحلى بفضيلة الرحمة في كثير من المواطن، وبيّنت السُّنة هذه المواطن، ومنها المعاملة للخدم والمتكسبين العاملين ، فقال: «من كان أخوه تحت يديه أي يخدمه فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم»[١١٩].

---

[١١٨] للاستزادة يرجع إلى: د. الشرباصي: أحمد، موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص١٢٢، إلى ص١٢٩.

[١١٩] الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ص١٢٨.

www.mtenback.com

وها هو ذا صلوات الله عليه يرى عائشة تركب جملاً توجهه يميناً وشمالاً في شيء من الحدة، فقال لها: «يا عائشة! عليك بالرفق، فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[١٢٠].

هذا ومعنى الرحمة قريب من معنى الرفق كما أسلفنا، وقد ذكر الغزالي فضيلة الرفق فقال: «اعلم أن الرفق محمود، ويضادّه العنف والحدة، والعنف نتيجة الغضب، وقد يكون سببه شدة الحرص واستيلاؤه، بحيث يدهش عن التفكير، ويمنع من التثبت، فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلاّ حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب، وقوة الشهوة، وحفظهما على حد الاعتدال»[١٢١].

ولأجل هذا أثنى الرسول ﷺ على الرفق، وبالغ في الثناء عليه فقال: «يا عائشة؛ إنه من أُعطي حظّه من الرفق فقد أُعطي حظّه من خير الدنيا والآخرة، ومن حُرِم حظّه من الرفق فقد حُرِم حظه من خير الدنيا والآخرة»[١٢٢].

وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا في عمّاله يحثّهم على اللين والرفق والرحمة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس، أيتها الرعية، إن لنا عليكم حقًا: النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، أيّها الرعاة، إن للرعية عليكم حقًا، فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز، من حلم إمام ورفقه، وليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه، يرزق بالعافية من دونه»[١٢٣].

---

[١٢٠] الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ص١٢٨.

[١٢١] المصدر السابق، ص١٢٨.

[١٢٢] المصدر السابق، ص١٢٨.

[١٢٣] المصدر السابق، ص١٢٩.

www.mtenback.com

لقد وزّع الإسلام الرحمة على الكون بأكمله بعد أن جعلها عملاً محببًا إلى الناس وخلّة من خلال المؤمن الساعي إلى كسب مرضاة ربه، فشمل بالرحمة المرؤوس، والأسير، والجريح، والقتيل، والعاقل والطائش وكل مخلوقاته.

الرحمة في نفس العربي:

قامت أسس التربية العربية اكتسابًا من آبائهم وعاداتهم الفاضلة قبل الإسلام، وكانت الرحمة والشفقة صفة لازمت تصرفات العربي في جاهليته وفي إسلامه وقد تجذرت هذه الصفة ونمت مع مدّ الثقافة الواسع ومع مكتسبات الأجيال المعنوية والثقافية فأثمرت قيمًا تولّدت عنها معانٍ استهدفها الإسلام ووضعها تحت تصرّف العقل الإنساني فسادت حضارة الإسلام وأقوى أسبابها الرحمة غايةً و وسيلةً، فأصبح التراث العربي من المنابع التي أَسَّسَت للرحمة في نفس العربي مكانًا بارزًا وأمدّت العرب والمسلمين بعطاء وافر، لأنها قد هذّبت نفوسهم، وصقلتها تهيئةً لنزول القرآن وتحمل رسالته وتشريعه ونشره في الناس وحثّهم على فضائل الأعمال التي رداؤها الرحمة والرفق.

وقد حفل التاريخ العربي، بالمواقف الإنسانية النابعة من الرحمة، وبالقصص، والطرائف والملح، وبما حفلت به المجالس الرسمية وأندية السمر الشعبية من صور التعاون والرحمة التي جسدتها الأعمال العربية في الجاهلية والإسلام.

والرسول الكريم ﷺ هو المثال الذي اقتدى به أهله، وخلفاؤه، وأصحابه وتابعوه حتى عمّت الرحمة كل من دان بدين الإسلام، فغدت من الأخلاق المميزة للعربي وللمسلم، ولا يسعنا في هذا المجال إلا تقديم أمثلة هي غيض من فيض مما حفل به التراث للتدليل على رسوخ هذه القيمة في نفس العربي والمسلم، إذ عرضنا لأشكال الرحمة عند العربي قبل الإسلام في موقع سابق.

www.mtenback.com

وعندما نسوق القصص إنما نعرض الأمثلة ناصعة الهدف والتوجه لاجتباء المعنى، إثرائه في نفوس أبنائنا وأحفادنا لنؤكد على فضيلة الرحمة وقيمتها الأخلاقية في حياة الفرد والجماعة، فهي عظة لا إمتاع ولا لَهْو.

وجّه رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى طيِّئ فريقًا من جنده، يتقدّمهم علي رضي الله عنه، ففزع عدي بن حاتم الطائي، وكان من أشد الناس عداء لرسول الله فوصل الجند إلى الشام فصبّح عليٌّ القوم، واستاق خيلهم ونَعَمهم ورجالهم ونساءهم إلى رسول الله.

فلمّا عرض عليه الأسرى، نهضت من بين القوم سفّانة بنت حاتم الطائي، فقالت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الرافد، فإن رأيت أن تُخلي عني، ولا تُشْمِتْ بي أحياء العرب! فإن أبي كان سيّد قومه، يفك العاني، ويقتل الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الذمار، ويفرّج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ويحمل الكَلَّ، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحدٌ في حاجة فردّه خائبًا، أنا بنت حاتم الطائي!

فقال النبي ﷺ: «يا جارية؛ هذه صفات المؤمنين حقًا، لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه، خلّوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق».

ثم قال: «ارحموا عزيزًا ذَل، وغنيًا افتقر، وعالمًا ضاع بين جُهّال».

وامتنّ عليها بقومها، فأطلقهم تكريمًا لها!

فاستأذنته بالدعاء له؛ فأذن لها، وقال لأصحابه: اسمعوا وعُوا: فقالت: أصابَ الله ببرِّك مواقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمةً عن كريم قومٍ إلا جعلك سببًا في ردّها عليه.

فلما أطلقها رجعت إلى أخيها عدي وهو بدومة الجندل، فقالت له: يا أخي، ايتِ هذا الرجل قبل أن تَعْلَقَكَ حبائلُه، فإني قد رأيت هديًا، ورأيًا سيغلب أهل الغَلَبة،

www.mtenback.com

ورأيت خصالاً تعجبني: رأيته يحبُّ الفقير؛ ويفكُّ الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قَـدْر الكبير، وما رأيت أجود ولا أكرم منه، فإن يكن نبيًا فللسابق فضله، وإن يكن مِلكًا فلن تزال في عزِ ملْكه.

فغدا عدي إلى رسول الله ﷺ؛ فأسلم، وأسلمت سفّانة[١٢٤].

فإن نحن حللّنا هذه القصة وجدنا فيها عِبرًا، وحكمًا، ومعاني أخلاقية صدرت جميعها على أثر فِعل الرحمة في النفس، فالرسول الكريم ترفّق بسفّانة لأنها امرأة وشملها برحمته لأنها ابنة جواد و لم يدرك الإسلام، وأطلقها عن دراية ومقدرة وسياسة وكياسة، فكسب بذلك النتيجة كما جاء في خاتمة القصة.

وإذا كانت هذه القصة الآنفة تمثل عمومًا أخلاق النبي القدوة للمؤمنين برسالته، فإنها تمثل في الوقت نفسه رحمة القائد المنتصر بالأسير المنكسر في أضعف مواقفه الفعلية والنفسية.

وقد اقتدى الصحابة بأخلاق رسول الله، فكانت الرحمة سبيلهم إلى التقوى والإيمان والتقرب من الله عزّ وجل لأنه أمر بها. والقصة التالية تعطي شكلاً آخر من أشكال الرحمة، وهي رحمة الراعي برعيته:

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ليلة، يطوف ويتفقد أحوال المسلمين، فرأى بيتًا من الشعر مضروبًا، لم يكن رآه بالأمس، فدنا منه، فسمع فيه أنين امرأة، ورأى رجلاً قاعدًا، فدنا منه وقال له: مَنِ الرجل؟ فقال: رجلٌ من البادية، قَدِمْتُ إلى أمير المؤمنين، لأُصِيْبَ مِنْ فَضْلِه، قال: فما هذا الأنين؟ قال: امرأة مخضت! قال: فهل عندها أحدٌ؟ قال: لا فانطلق عمر فجاء إلى منزله، فقال لامرأته أم

[١٢٤] جاد المولى، ورفيقاه: قصص العرب، دار الجيل، بيروت (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج١، القصة رقم (٧٢)، ص١٨٦-١٨٧. وقد أحال إلى: الأغاني، إنسان العيون، غرر الخصائص.

www.mtenback.com

كلثوم بنت علي بن أبي طالب: هل لكِ في أجرٍ قد ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟! قال: امرأة مخضت ليس عندها أحد! قالت: إن شئت! قال: فخذي معك ما يصلح للمرأة من الخِرق والدهن، وائتيني بقِدْر شحم وحبوب، فجاءته به، فحمل القِدْرَ، ومشت خلفه، حتى أتى البيت، فقال لها: ادخلي إلى المرأة. ثم قال للرجل: أوقِد لي نارًا، ففعل، فوضع القدر بما فيها، وجعل عمر ينفخ النار ويضرمها، والدخان يخرج من خلال لحيته، حتى أنضجها، وولدت المرأة. فقالت أم كلثوم: بشرّ صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام، فلمّا سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل، وقال: يا خجلتاه منك يا أمير المؤمنين! أهكذا تفعل بنفسك! قال: يا أخا العرب، من ولي شيئًا من أمور المسلمين ينبغي له أن يطلع على صغير أمورها وكبيرها؛ فإنه عنها «مسؤول» ومتى غفل عنها خَسِرَ الدنيا والآخرة.

ثم قام عمر، وأخذ القدر، وحملها إلى باب البيت، وأخذتها أم كلثوم، وأطعمت المرأة فلمّا استقرت وسكنت، طلعت أم كلثوم، فقال عمر رضي الله عنه للرجل: قم إلى بيتك، وكُلْ ما بقي في البُرمة، وفي غد ائت إلينا. فلما أصبح جاءه، فجهّزه بما أغناه به»[١٢٥].

إننا نجد في هذه الرواية رجل السلطة الأول لا يخلد إلى النوم حتى يطمئن على الرعية، فيتأكد من أمنهم وسلامتهم، وهذا مثال لم يعرفه حاكم عند الآخرين، وعمر الخليفة الثاني المؤتمن على أمن المسلمين يخرج منفردًا ويصل إلى أطراف الحاضرة، وباصرته قلبه العامر بالإيمان والتقوى، ويصيخ السمع فيروعه أنين إنسان وتتحرك الرحمة في نفسه الكريمة فيتقصّى الأمر، فيجد ضعيفًا يحتاج إلى مرحمة، وينتزع زوجه

---

[١٢٥] أبو الفتح الأبشيهي المحلي، شهاب الدين محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (بلا تاريخ)، ج٢، ص٩٣، وينظر قصص العرب، جاد المولى، محمد أحمد ورفيقاه: القصة رقم (٣)، ج٣، ص١١-١٢.

www.mtenback.com

من سكنها لتشاركه الأجر عند الله، فمن لا يَرْحَم لا يُرْحَم، وتلبي الزوج نداء زوجها وتخرج متجشمة عناء العمل الإيماني والإنساني الرحيم. وبعامل الرحمة يتبسط القائد الأعلى للأمة الإسلامية، المستخلف على إدارة شؤونها، ويشعل نارًا، وينضج طعامًا، يسدُّ به حاجة نفس محتاجة ولوعة امرأة في أحرج الظروف وأصعبها، يشارك برحمته حتى سهَّل الله أمرها. فيتنفس قائد الأمة وما برح الدخان يخرج من لحيته، ويلتصق الرماد والدهن بثوبه، فيوعَدُ من الداخل بالأجر والمثوبة عند الله، ولا ينتهي إلى الراحة حتى يلقى صاحب العيال في اليوم الثاني فيكفيه زاد أيامه فيضيف إلى ذلك حسنة أخرى. إنها الرحمة بعينها، رحمة الراعي بالرعية، وحق يؤديه الخليفة إلى من استُخْلِفَ عليهم.

ولأن الله تعالى خص المخلوقات بالرحمة، فقد أوضح رسوله الكريم أبواب الرحمة بالحيوان، طائرًا كان أو سابحًا أو دابًا، فأعطى أمثلة على الرحمة بالحيوان. وقد مرّت بنا أمثلة من أحاديثه الشريفة، التي غدت سنّة من سنن خلفائه وصحابته والتابعين، والمؤمنين فيما بعد، ومن القصص الدالّة على الرحمة بالحيوان، ما نقله الأحنف بن قيس عن الخليفة عمر بن الخطاب، قال: « قدمنا على عمر بن الخطاب بفتح عظيم نُبَشِّره به، فقال: أين نزلتم؟ قلنا: في مكان كذا !.

فقام معنا حتى انتهينا إلى مُناخ ركابنا، وقد أضعفها الكلال، وجَهَدَها السير، فقال: هلاّ اتقيتم الله في ركابكم هذه! أما علمتم أنّ لها عليكم حقًا هلاّ أرحتموها، فأكلت من نبات الأرض!

فأتى رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إن فلانًا ظلمني فاعْدِني عليه (أي انصرني عليه). فرفع في السماء درته فضرب بها رأس الرجل، وقال: تدعو عمر، حتى إذا شُغِل في أمور المسلمين أتيتموه وقلتم: اعْدِني، اعْدِني، فانصرف الرجل يتذمَّر، فقال عمر: عليَّ بالرجل! فجيء به، فألقى إليه المِخفَقَةَ (الدرة أوسوط من خشب) فقال: اقتص. قال: بل أدعه لله ولك. قال: ليس كذلك؛ بل تدعه إمّا لله وإرادة ما عنده، وإمّا تدعه لي؟ قال: أدعه لله. قال: انصَرِف.

www.mtenback.com

ثم جاء حتى دخل منزله، ونحن معه، فصلّى ركعتين خفيفتين، ثم جلس.. فقال لنفسه: يا بن الخطّاب، كنتَ وضيعًا فرفعك الله، وكنت ضالاً فهداك الله، وكنت ذليلاً فأعزّك الله، ثم حَمَلَك على رقاب الناس، فجاء رجل يستعديك على من ظلمه فضربته؛ ماذا تقول لربك غدًا؟ فجعل يعاتب نفسه معاتبة، فظننت أنه من خير أهل الأرض...»[١٢٦].

إن من يتمعّن في هذه الرواية التي نقلها تاريخ العرب يرى فيها حكمتين أساسيتين تكرسان الرحمة قيمة أخلاقيه إيمانية، فالجزء الأول من القصة ينبئ عن عدم ابتعاد الرحمة عن نفس قائد الأمة الخليفة عمر بن الخطاب الذي نُسِب إليه قوله في العدل: «والله لو تعثرت شاة على شواطئ الفرات لسئلت يوم القيامة عنها»، ولو في نشوة النصر وكثرة الغنائم، وإحقاق الحق، وانتشار الإسلام، بكونه غاية، وهذه الغاية لم تحل دون التفات الخليفة الراشد إلى الإبل المتعبة النائحة في مباركها، فتحركت نسمة الرحمة بها، فأمر باراحتها، ولم يهملها لكونها أداةً من أدوات النصر، فأوصى بها أولاً، وهذه حركة نفسية تمثّل رحمةً عالية.

أما الجزء الثاني من القصة فتحدث عن مظلوم أراد أن ينصفه على من ظلمه، وفي لحظة ضعف، أفلتت الحكمة الواجبة من الخليفة الفاروق فزاد على ظلم الرجل ظلمًا، إذ ضربه، وما إن ثاب إلى عقله، وعاد إلى هدوئه حتى أعلن توبته عن فعله، وانتصر للرجل عند الله تعالى، وعلى الرغم من أن الرجل أرجأ شكايته إلى الله، فإن عمرَ قد غلبه الندم، فاستغفر وزفر، وبكى، وتذكر واقعه عندما كان ضعيفًا صغيرًا لا يأبه به أحد ورأى ما جال في نفسه وهو في عظمة السلطان وأبهة الخلافة ؛ قارن بين

---

[١٢٦] جاد المولى ورفيقاه: قصص العرب، ج٣، القصة رقم (٤)، ص١٣-١٤. وأحالنا إلى ابن أبي الحديد ٩٧/٣. وقصد بالمُناخ (بضم الميم) مبرك الإبل، أما الركاب فهي الإبل نفسها. والدرة هي العصا الصلبة الثخينة، وتطلق الصفة على السوط اليابس القاسي.

www.mtenback.com

الحالين وتذكّر ما كان فيه وما صار إليه فلم يبطر و لم يتكبر على الناس. لقد حقق عمر المساواة بين الحاكم والمحكوم عندما تحركت الرحمة المرافقة للفعل في ذاته، فأعطى المثال الذي سارت على هديه أجيال اقتبست من نور الإسلام، وقامت عليها تربية من جاء بعدها، وتمثلت بأخلاق الرسول المكرم وصحبه.

ومن عيون كلام العرب وحكمتهم في الرحمة، الجملة الآتية التي تحلل بفهم شمولي لمعاني الرحمة: «فإذا كان لك شوق إلى الرحمة من الله، فكن رحيمًا لنفسك ولغيرك، ولا تستبدَّ بخيرك، فارحم الجاهل بعلمك، والذليل بجاهك، والفقير بمالك، والكبير والصغير بشفقتك ورأفتك، والقُصاة بدعوتك، والبهائم بعطفك، وارفع غضبك. فإن أقرب الناس من رحمة الله أرحمهم لخلقه، فكل ما يفعله من خير دقّ أو جلّ فهو صادر عن صفة الرحمة».

وأنشد الحافظ ابن عساكر[١٢٧]:

بَادِرْ إِلى الخَيْرِ يَا ذَا اللُّبِّ مُغْتَنِمًا ... وَلَا تَكُنْ مِن قَلِيلِ الخَيْرِ مُحْتَشِمَا

وَاشْكُرْ لِمَوْلَاكَ مَا أَوْلَاكَ مِنْ نَعَمٍ ... فالشُّكْرُ يَسْتَوْجِبُ الإِفْضَالَ والكَرَما

وَارْحَمْ بِقَلْبِكَ خَلْقَ اللهِ وَارْعَهُمُ ... فَإِنَّما يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ مَنْ رَحِمَا

فالرحمة كلها خير، وخير الرحمة ما صدر عن القوي تجاه الضعيف، وعن الطليق تجاه الأسير، وعن الحر تجاه المقيّد، وعن الكبير تجاه الصغير، وعن الخشن تجاه اللَّيِّن، وعن العاقل تجاه الطائش، أي أن الرحمة أثوَب وأجزى إذا وقعت من أعلى إلى أسفل، ففيها اقتدار، وفيها قيمة صدرت عن مقتدر.

وقد أوصى الإسلام المنتصرين أن يحموا المنتَصَر عليهم، وأن يضمّدوا جراح المجروح، ويعودوا المرضى، ويفرّجوا كربة المكروب، ويزيلوا هَمَّ المهموم، ويتقوا الله في الأسير الذي غدا لا حول له ولا قوة.

---

[١٢٧] حسين كعكو، أحمد: محاسن الجود والكرم، مكتبة قباء، حلب، ط١، ص٢٧.

www.mtenback.com

ومن قصَص القادة الذين تمثّلوا كتاب الله فأطاعوا أوامره، وأخلاق الرسول وصحبه فساروا على هديهما، قصة أمير الأندلس عبد الرحمن الأموي، كما أوردتها كتب التراث:

«ثار ثائر على عبد الرحمن الأموي «حاكم الأندلس»، فغزاه عبد الرحمن وظفر به، فبينما هو منصرف على فرسه، وقد حمل الثائر على بغلٍ، مكبلاً، نظر إليه عبد الرحمن وقال: يا بغلُ، ماذا تحمل من الشقاق والنفاق؟

فقال الثائر: يا فرس، ماذا تحملين من الرحمة والغفران؟

فقال عبد الرحمن: والله لا تذوق موتًا على يدي أبدًا»[١٢٨].

وهكذا تغدو الرحمة ركنًا أساسيًا تقوم عليه الأخلاق الإسلامية، وهي فاتحة القيم الإسلامية، في السياسة، و التشريع، و التفكير و الممارسة، لذا وُصف الإسلام من قبل أعدائه بدين الرحمة، لأن من خصائص المسلم التسامح، والتسامح من مستلزمات الرحمة، ومعنوياتها النفسية والفعلية؛ وهي أمر الله، وتوجيه رسوله صلوات الله عليه، ومن يأخذ التوجيه بالرحمة، كما وجه به الإسلام في كتاب الله وأحاديث الرسول، سيجد أن التوجيه يأتي محمولاً على فعل أمر دائمًا: «ليكن المرء مسؤولاً، وليكن رحيمًا بالمضرورين لئلا يُبتلى بالضُّرِ»[١٢٩].

وقد حفلت كتب التراث بمعاني الرحمة، وحثت المؤمنين على التحلي بها، لأنها أمر الله إلى عباده، ولأهميتها اتخذها الله تبارك وتعالى صفة من صفاته المقدسة.

الرحمة في الشعر:

هذا بعض ما ورد في التراث نثرًا، أما الشعر فقد عبر عن حياة العرب، وحفظ أيامهم، وخلّد وقائعهم، وأرّخ لرجالاتهم وأفعالهم وكريم خصالهم وخصائصهم،

---

[١٢٨] حسين كعكو، أحمد، محاسن الجود والكرم، ص٤٢.

[١٢٩] ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير، دار صادر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ، ص٣٩.

www.mtenback.com

ومكّن من معرفة آمالهم وآلامهم وطموحاتهم، فكان من أهم مصادر تراثهم، والصوت الذي يشدو بفضائل أعمالهم وجليل أفعالهم.

وإذا كانت العرب قبل الإسلام لم تأخذ العلم عن كتاب، فإن الشعر قد أسهم بالفعل بتعليم أبنائها حسن المواقف، ودفعهم إلى حاميات المواقع، وحبّب إليهم مكارم الأخلاق، فحفز فيهم جوهر القيمة العليا للإنسان، وهي الرحمة بأخيه الإنسان ووجوبها عليه كلما سنحت أسبابها وتهيأت ظروفها.

وقد مرّ بنا عرض لأنواع الرحمة التي عرفها العرب في جاهليتهم قبل الإسلام ومارسوها بوعي لقيمتها وحساسية لاستشعار الخلق الجميل الذي منه الرحمة، وعندما جاء الإسلام طوّر الشعور بالرحمة ومدّه مساحات عريضة على خريطة الواقع فانفتحت على مخلوقات الله جميعًا.

وإذا عنّ لنا أن نحصر الرحمة عند العربي قبل الإسلام، فإننا سنجدها تتركز في الأقربين وأهل الصلة مثل الأخ والأب والأم والأقرب فالأقرب ثم على الناقة والفرس وعنها، (أي الرحمة)، نشأت العاطفة الصادقة نحو الآخر.

وعندما جاء الإسلام عمّم الرحمة، وأمر الله سبحانه الإنسان أن يصدّر رحمته تجاه المخلوقات جميعًا، و لم تكن التربية بعدئذٍ بحاجة إلى الشعر لتحث المتلقي على قبول فكرة الرحمة، لأن المرجع الأساس لها بين يدي خلق الله جميعًا؛ هو القرآن الكريم، مشفوعًا بحديث الرسول الأكرم، فجاءت الرحمة كما أرادها الله للمسلمين والمؤمنين. وفيما يأتي بعض مما عبر به العرب شعرًا مصورًا للرحمة وما يتصل بها من معان.

فها هو زهير بن أبي سلمى ينعى على أبناء العمومة اقتتالهم، ويتمنى لهم حقن دماء صدرت عن صلب واحد، ويبارك الجهود التي تبذل لكفّ الشر، وإيقاف القتال رحمة بالعرب، وصونًا لعلائق الرحم الرابطة بين عبس وذبيان، يقول[١٣٠]:

---

[١٣٠] ابن أبي سلمى، زهير، شرح ديوانه، صنعة أبي العباس ثعلب، قدّم له: حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص٤٢

www.mtenback.com

فَمَنْ مُبْلِغُ الأَحْلاَفَ عَنِــــيّ رِسَـــالَةً ... وَذُبْيَان هَلْ أَقْسَـــمْتُمُ كُـــلَّ مُقْسَـــمِ

ويحض على جلاء النفوس وتنقيتها ونبذ الشر واللجوء إلى الله الحق، فيقول:

فَلاَ تَكْتُمَـــنَّ اللهَ مـــا في نُفُوسِـــكُمْ ... لِيَخْفَــى وَمَهْمَـا يُكْتَـمِ اللهُ يَعْلَـمِ

يُؤَخرْ فَيُوضَـــعْ في كِتَـابٍ فَيُدَّخـرْ ... لِيَـومِ حِسَـابٍ أَوْ يُعَجَّـلْ فَيُنْقَـمِ

ويعرض لأهوال الحرب وشرورها، والنتائج الأثيمة التي تتركها، ويؤكد علـــى فعلها الطائش، فيقول:

متـــى تَبْعَثُوهَـا تَبْعَثُوهَـا ذَمِيمَـــةً ... وَتَضْـرَى إِذَا أَضْرَيْتُمُوهَـا فَتَضْـرَمِ

فَتَعْرُكُكُـمْ عَـرْكَ الرَّحَـى بِثِفَالِهَـا ... فَتَلْقَحْ كِشَـافًا ثُـم تُنْتِـجْ فَتُتْئِـمِ

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَـــانَ أَشْـأَمَ كُلُّهُـمْ ... كَأَحْمَرِ عَـادٍ ثُـمَّ تُرْضِـعْ فَتَفْطِـمِ

فَتُغْلِلْ لَكُـمْ مَـا لا تُغِـلُّ لأَهْلِهَـا ... قُرًى بِالعِرَاقِ مِـنْ قَفِـيزٍ ودِرْهَـمِ

عرض جيد للصورة البائسة للنتائج، وعقابيلها التي تحمل الشؤم والدمار والإفناء حتى لا تقوم للإنسان قائمة، ليصل إلى الصفحة الأخرى، وفيها يسطرّ صورًا توضـــح كل واحدة منها معنى الرحمة التي ستكون بمثابة الماء الذي يُسكب على النار فيُطفئهـــا؛ والرحمة تنطلق من رحمة النفس بعدم زجها في الأتون المضطرم، فيقول:

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِن دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّـقِ الشَّـتْمَ يُشْـتَمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ في غَـيْرِ أَهْلِـهِ ... يَكُنْ حَمْـدُهُ ذَمًّـا عَلَيْـهِ وَيَنْـدَمِ

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيْقَـهُ ... وَمَنْ لَمْ يُكَـرِّمْ نَفْسَـهُ لَـمْ يُكَـرَّمِ

وَمَنْ لا يَزَلْ يَسْتَحْمِلُ النَّاسَ نَفْسَـهُ ... ولا يُعْفِها يَوْمًا مِـنَ الدهْـرِ يُسْـأَمِ

وَمَهما تَكُنْ عِنْدَ امرِئٍ مِـنْ خَلِيقَـةٍ ... وَإِنْ خَالَها تَخْفَى عَلَى النَّـاسِ تُعْلَـمِ

www.mtenback.com

لقد صنع من شعره مرآة صقلها بالحكمة ووضعها أمام البصر لتتأمل فيها الباصرة، فمن أحرف الشرط وأسمائه استنهض العقل، وتركه أمام الحقائق ليكون قراره في صالح الخير، وبالرحمة ينتصر حتمًا.

وتبدو الرحمة أكثر وقوعًا على البهيمة التي شاركت الشاعر حياته، فمن يتأمل في الشعر الجاهلي سيقوده تأمله إلى حقيقة تقول: بأنسنة الشاعر لـ «ركوبته» الناقة، والفرس، والحصان، شريكته في الحياة، فهي ألصق به في فاعلياته الحياتية من الزوجة والولد والقريب والنديم، فهي الرفيق الذي لا غنى عنه، فيناجيها، ويحدثها، ويبثها همومه، ويشفق عليها، فلا غرو أن تقع عليها رحمته بالدرجة الأولى.

فها هو عنترة يربط ربطًا حميمًا بين الحبيبة وذوي القربى من الأرحام والجارة والأجرد حصانه المعروف، فيتوجه إليه بالخطاب الرقيق الذي يطفح مودة ورأفة وحنانًا:

هَلاَّ سَأَلْتِ الخَيْلَ يا ابْنَةَ مَالِك　　　إِنْ كَنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

ثم يصل الحديث إلى غايته مما يريد تذكيرها به فيقول:

يُخبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيْعَةَ أَنَّنِي　　　أَغْشَى الوَغَى وأَعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ

فالشاعر يصدر كلامه الرقيق الشفيف عن محبة لابنة عمه «عبلة» والمحبة من الرحمة، وعفافه عند المغنم صادر عن أنفة وشموخ وفروسية، وهي صفات تدعم الرحمة بالنفس، ثم يعرض لإحساسه الشريف تجاه جارته ويعتبرها من المحارم، ويضعها بمثابة الصلة الدموية، وهذه من شروط الرحمة بالجار وواجب الإنسان تجاه من حوله وهذه صادرة عن رحمة أيضًا[١٦٠]:

يَا شَاةُ ما قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَه　　　حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لم تَحْرُمِ

---

[١٦٠] القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص٩٧-٩٨.

www.mtenback.com

والشاة هنا بقرة الوحش وهي المهاة والنساء تُشَبَّهُ بها، وهو يعني بها جارته لأن من كانت له حميّة، فالجارة عنده كالأم والأخت، وهي كذلك عند العرب وقد أكد الشعر العربي الرحمة بالجارة ومن ذلك قول أبي تمام في مدح مالك بن طوق التغلبي[١٣١]:

عَفُّ الإِزَارِ يَنَالُ جَارَةَ بَيْتِهِ إِرْفَادُهُ وَيُجَانِبُ الإِرْفَاثَا

وفيها طباق ناقص، فالإرفاد من الكرم، والإرفاث من النذالة، وهو يريد أن يكرم الجارة ولا يفكّر بسوء نحوها ولا يرفث في القول لها.

ومثله قيس بن الخطيم الأوسي إذ يقول في المعنى نفسه:

وَمِثْلُكِ قَدْ أَصْبَيْتُ لَيْسَتْ بِكَنَّةٍ وَلَا جَارَةٍ لِي أَوْ حَلِيلَةِ صَاحِبِ

ونعود لعنترة مرة أخرى فقد ترك وصف حاله في المعركة والأهوال والشدائد التي لاقته، ليعرض لما لقيه الشريك الفرس وينقل لنا انطباعات الفارس، وإحساسات الفرس وكأنه توحد به، وتماهى معه في المشاعر، فالأدهم جزء من الفارس والعكس صحيح، وفي هذا التماهي رحمة بالآخر الذي هو حصانه الأدهم[١٣٢]:

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الأَدْهَمِ

فَإِذَا اشْتَكَى وَقْعَ القَنَا بِلَبَانِهِ أَدْنَيْتُهُ مِنْ سَلِّ عَضْبٍ مِخْذَمِ

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ فَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي

ما زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ

---

[١٣١] القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص٩٨.

[١٣٢] القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص ٩٩، وينظر الزوزني، الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع، دار صادر، بيروت، لبنان، (بلا تاريخ)، ص ١٥٠، ١٥٢.

www.mtenback.com

وتبدو أنسنة الراحلة واضحة، ووقوع الرحمة عليها ظاهرة في المعنى، فهو يلوذ على «الأدهم» الذي روّعته الحرب، فعملت في جسده، وروحه عملها فنقل إلينا تلك المشاعر لنفهم مثله مشاعر الدابة التي يفهمها وتفهمه تمامًا، فأثّر بنا،وجعلنا ننظر إليها نظرة فيها من العطف والرأفة والشفقة والحنان ما يعادل الرحمة بها.

ومن أجلى صور العطف على الناقة، والإشفاق عليها، وتماهي الشعور بين صاحبها وبينها ما قاله المتلمس في ناقته، وقد هرب من غضب عمرو بن هند وقابوس اللذين أهدرا دمه ودم ابن أخته طرفة بن العبد، فنالا من الثاني بينما آثر الخال السلامة بالهروب والتخفي[١٣٣]:

حَنّتْ قَلُوصي بِها واللَّيْلُ مُطَّرِقُ ... بَعْدَالهُدُوءِ وَشَاقَتْها النّواقِيْسُ

مَعْقُولَةً يَنْظُرُ الإشْراقَ راكِبُها ... كَأَنَّهُ مِنْ هَوًى لِلرمْلِ مَسْلُوسُ

وَقَدْ أَضاءَ سُهَيْلٌ بَعْدَما هَجَعُوا ... كَأَنّهُ ضَرِمٌ في الكَفِّ مَقْبُوسُ

حَنَّتْ إلى النَّخْلَةِ القُصوى فَقُلْتُ لَها ... حَجْرٌ حَرَامٌ ألاَ تِلْكَ الدَّهارِيْسُ

أمِّي شَآمِيَةً إذ لا عِراقَ لَنا ... قَومًا نَوَدُّهُمُ إذْ قَوْمُنا شُوسُ

لَنْ تَسْلُكِي سُبُلَ البَوْباةِ مُنْجِدةً ... مَاعَاشَ عَمْروٌ وَلا مَا عَاشَ قَابُوسُ

إنه يضعنا أمام مشهد متحرك، يؤنس فيه الناقة، التي باتت تحن، وحنين النوق ألمها فبكاؤها عند الشدائد، فهي تبكي فراق ديارها، كلما تذكرت النخيل والنواقيس في أرض العراق، ويزداد حنينها عندما تعلم قرار صاحبها بقطع صلته مع ذوي رحمه وانحصارها في الشريكة الناقة، وقد نصل إلى المستوى الواحد بين الرحمة والتراحم مع الحيوان، والرحمة والتراحم مع ذوي القربى، عندما نقارن قول المتلمس في ناقته مع قول دريد بن الصمة في ذوي رحمه[١٣٤]:

---

[١٣٣] القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص١١٤.

[١٣٤] دريد بن الصمة: ديوانه، تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص٦٢.

www.mtenback.com

وَمَا أَنَا إلاَّ مِـــنْ غزِيّـــةَ إنْ غَـوَتْ ... غَوَيْتُ، وإنْ تَرْشُـــدْ غَزِيَّـــةُ أَرْشُـدِ
دَعَاني أَخي والخَيْـــلُ بَيْـني وَبَيْنَـهُ ... فَلَمّا دَعَاني لَـــمْ يَجِدْنـي بِقُعْـدَدِ
أَخٌ أَرْضَعَتْنِـي أُمُّـهُ مِـن لِبَانِهَـا ... بِثَدْيِي صَفَـاءٍ بَيْنَنَـا لَـمْ يُجَـدَّدِ
فَجِئْـتُ إِلَيْـهِ والرِّمَـاحُ تَنُوشُـهُ ... كَوَقْعِ الصَّيَاصِي في النَّسِيْجِ المُمَـدَّدِ

فالمتلمس يحزن لأحزان ناقته وكأنها ابنته، أو أخته، أو ابنة عمه، لكنّه يعتذر بالظروف التي دعته إياها إلى البعد عن الديار وفي ذلك رحمة بالحيوان، أما دريد فيحزن لحزن أخيه، ويعلن تمسكه بصلة الرحم فهو من غزيّة، وأفراحها أفراحه وأحزانها أحزانه، وكل فرد فيها أخ له، كمثل أخيه في الرضاع أو ابن أمه، رضعا من ثدي واحد، وواجب الرحم يقضي الوقوف إلى جانبه ونصرته في الشدائد وأن يرحمه ويحاول بكل جهد ردّ البأس عنه ولولا الرحمة ما فعل ذلك ولا خاطر بحياته في موقف تموت فيه العلائق وترتعد فيه الفرائص.

وتبرز الرحمة على حقيقتها في قصيدة أبي ذؤيب الهذلي عندما فقد أبناءه فحمل بين جوانحه حبًا وتعلقًا وعطفًا ورأفة عليهم، وجزع لفقدهم، مما يدلل على مدى اتساع الرحمة بمعانيها المختلفة لديه فكانت قصيدته الخالدة[١٣٥]:

أَمِـنَ المَنُونِ وَرَيْبِهَـا تَتَوَجَّـعُ ... وَالدَّهْرُ لَيسَ بِمُعْتِـبٍ مَـنْ يَجْـزَعُ
قَالَتْ أُمَيْمَةُ مَـا لِجِسْـمِكَ شَـاحِبًا ... مُنْذُ ابْتُذِلْتَ وَمِثْـلُ مَـالِكَ يَنْفَـعُ
أَمَّا لِجِسْـمِكَ لاَ يُلاَئِـمُ مَضْجَعًـا ... إلاَّ أَقَـضَّ عَلَيْـكَ ذَاكَ المَضْجَـعُ
فَأَجَبْتُهَـا أَمَّـا لِجِسْـمِيَ إِنَّـهُ ... أَوْدَى بَـنِيّ مِـنَ البِـلادِ فَوَدَّعُـوا
أَوْدَى بَنِـيّ فَـأَعْقَبُونِي حَسْـرَةً ... بَعْـدَ الرُّقَـادِ وَعَـبْرَةً مَـا تُقْلِـعُ

---

(١٣٥) القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص١٠١.

www.mtenback.com

سَبَقُوا هَوِيَّ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ ... فَتُخُرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ
فَغَبَرْتُ بَعْدَهُمُ بِعَيْشٍ نَاصِبٍ ... وَإِخَالُ أَنِّيَ لاَحِقٌ مُسْتَتْبَعُ
وَلَقَدْ حَرَصْتُ بِأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمُ ... وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لا تُدْفَعُ

عبرة دائمة عن قلب والد شفيق بعياله، رحيم بهم، حاول أن يرعاهم ويدفع عنهم الأذى لكنه وقف عاجزًا أمام القدر.. إنها صورة حية لعاطفة الأسى على الرحم القريب المتمثل بالأبناء.

أما مالك بن الريب فإنه يوصي بالرحم، يشفق على أهله وجزعهم لموته في ديار الغربة، ويعرض لألمهم وأساهم عليه، ويعلن عن دمع هتّان، لا خوفًا من موته هو بل ترفقًا ورأفةً بأهله وذوي رحمه البعيدين عنه، ولم ينس إعلان فزعه على حصانه الذي سيظل وحيدًا بعد وفاته، لا أحد يرعاه من بعده[١٣٦]:

وَأَشْقَرَ خِنْذِيْذٍ يَجُرُّ عِنَانَهُ ... إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا
وَلَكِنْ بِأَطْرَافِ السُّمَيْنَةِ نِسْوَةٌ ... عَزِيْزٌ عَلَيْهِنَّ الْعَشِيَّةَ مَابِيَا
فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... بَنِيْ مَالِكٍ وَالرَّيْبِ أَلاَّ تَلاَقِيَا
وَبَلِّغْ أَخِيْ عِمْرَانَ بُرْدِيْ وَمِئْزَرِي ... وَبَلِّغْ عَجُوْزِيْ الْيَوْمَ أَلاَّ تَلاَقِيَا
وَسَلِّمْ عَلَى شَيْخَيَّ مِنِّي كِلاَهُمَا ... وَبَلِّغْ كَثِيْرًا وابْنَ عَمِّي وَخَالِيَا

إذن فالوصية تنم عن تعلقه بالرحم، وفزعه على أرحامه وفزعهم عليه، ومدى ارتباطه بهم، وارتباطهم به، وكان يعدد الرحم في حصانه، وأخيه عمران، وأمه وأبيه، وكبيري قبيلته، وأبناء عمومته، وأبناء خؤولته.

[١٣٦] القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص١٤٣، ص١٤٥.

www.mtenback.com

ويعد الكميتُ أن من الرحمة أن يحامي المرء عمن يعجز عن الدفاع عن نفسه أمام الملمات، كما أن منها حماية الحريم وذات القربى من النساء وأي رحم حتى لو تجشّم المرء الهول من أجلها وكان فيها حتفه، إن الكميت في هذه الأبيات يعلن حقوق الرحمة في الأقربين وينكر على من يتخلى عنها أو يجحد موجباتها[١٣٧]:

وَأَيْنَ ابنُها عنّا وَعَنْكُمْ وَبَعْلُهَا ... خُزَيْمَةُ والأَرْحَامُ وَعْثًا جَؤُوبُهَا

إِذَا نَحْنُ مِنْكُمْ لَمْ نَنَلْ حَقَّ إِخْوَةٍ ... عَلَى إِخْوَةٍ لَمْ يَخْشَ غِشًّا جُيُوبُهَا

فَأَيَّةُ أَرْحَامٍ يُعَاذُ بِفَضْلِهَا ... وَأَيَّةُ أَرْحَامٍ يُؤَدّى نَصِيبُهَا

لَنَا الرَّحِمُ الدُّنْيَا وَلِلنَّاسِ عِنْدَكُمْ ... سِجَالٌ وَغَيْبَاتُ اللُّهَى وَذَنُوبُهَا

فالأرحام الواجب التراحم بينهم هم الأصول والفروع وما تفرع عنهما لأن الدم واحد ولأن النطفة الجذر واحدة، فالرحمة مرتبطة بالصلة التي هي صلة الأرحام.

أما في استرحام المخطئ بإعلان توبته، والعدول عن الخطأ ثانية فقد تمثل في قول الحطيئة، وهو يعرض لحال أطفاله من بعده، وحاجتهم الماسة إلى وليّهم ليرق قلب الحاكم ويعفو عنه وقول الحطيئة موجه إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد سجنه لطول لسانه في الهجاء والتعريض بأعراض العرب[١٣٨]:

مَاذَا تَقُولُ لأَفْرَاخٍ بِذِي مَرَخٍ ... زُغْبِ الحَوَاصِلِ لاَ مَاءٌ وَلاَ شَجَرُ

أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُم في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يَاعُمَرُ

ويرق قلب الخليفة، وتتحرك آفاق الرحمة في نفسه، ويتمثل القيم التي قامت عليها شخصيته وأركان دولته الإسلامية، فيعفو عنه، ويطلقه رحمة بأطفاله وحنانًا عليهم.

---

[١٣٧] القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص١٨٩.

[١٣٨] ينظر ديوان الحطيئة، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

www.mtenback.com

كذلك يتمثل الاسترحام في قصيدة كعب بن زهير الذي أهدر الرسول دمه لسعيه الحثيث على طريق الفتنة والوشاية والنميمة والتعريض بأحساب الناس وأعراضهم حتى تخلى عنه أصدقاؤه وأرجفوا به وتوقعوا له القتل كما قال[١٣٩]:

تَسْعَى الوُشَاةُ بِجَنْبَيْهَا وَقَوْلُهُمُ ... إنّكَ يَا بْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُول

وَقَالَ كُلُّ خَلِيْلٍ كُنْتُ آمُلُهُ ... لاَ أُلْهِيَنَّكَ إنِّي عَنْكَ مَشْغُوْلُ

فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيْلِي لا أَبَالَكُمُ ... فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُوْلُ

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُ ... يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُوْلُ

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ أَوْعَدَنِي ... وَالعَفْوُ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ مَأْمُوْلُ

مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِيْ أَعْطَاكَ نافِلَةَ ... القُرْآنِ فِيْهَا مَوَاعِيْظٌ وَتَفْصِيْلُ

لاَ تَأْخُذَنِّي بَأَقْوَالِ الوُشَاةِ وَلَمْ ... أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِيّ الأَقَاوِيْلُ

لَقَدْ أَقُوْمُ مَقَامًا لَوْ يَقُوْمُ بِهِ ... أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الفِيْلُ

لَظَلَّ يَرْعِدُ إلاّ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ ... مِنَ النَّبِي بِإِذْنِ اللهِ تَنْوِيْلُ

إنه يطلب الرحمة في الحكم والترفق فيما قال الوشاة، مع إيمانه بقضاء الله وقدره، ويعلن انتسابه إلى الرسول عقيدة وخلقًا وقيمًا.

إذًا فالقيم التي حملها العربي قبل الإسلام هي مكتسبة متوارثة خضعت لقوانين التربية في ذاك الزمن، لذا نراها بدائية بسيطة تصدر عن شعور وإحساس آنيين.

ولما جاء الإسلام واستنارت عقول الناس، خصت الرحمة بمساحة كبيرة، لأنها الدرس الأول والأهم في التربية، فانصبّت على الذات أولاً، ومن لا يرحم ذاته لا يرحم الآخرين، وعندما كرّست في الذات توجهت إلى الأقربين من الأرحام، لتتوسع الدائرة

[١٣٩] القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص١٥٠.

www.mtenback.com

وتنتشر، وتفعّل القيم فتعم حتى تصل إلى المجتمع بتعريفه العريض، ومن ثم يبدأ الدرس الكوني الأشمل في وجوب وقوع الرحمة على الحيوان لأنه من مخلوقات الله، وهونفس، والنفس كرمها الله، فوجب علينا رحمتها ورعايتها بالرأفة والترفق والتحنن، وكذلك تشمل الرحمة النبات والعمران والطبيعة لأنها مخلوقة بقصد سعادة الإنسان ورفاهه وطمأنينته، ويكون الإنسان قد تربى على الرحمة فأضاف إلى جوهره الأساس معاني وقيمًا أخرى تشملها الرحمة، وهكذا تبرز إنسانية الإنسان في تعامله مع أخيه الإنسان ثم مع سائر الكائنات الحيّة من حيوان ونبات فهؤلاء شركاؤه في الكون.

الشفقة:

ولكي نعرف حرص الإسلام على تكريس صفتي الرحمة والشفقة في ذات المسلم منذ نشأته – بعد عرض هذه النماذج الشعرية – نعود إلى القرآن الكريم الذي ذكرنا من آياته الكريمة عددًا لابأس به في مقدمة الحديث عن التعريف بهاتين الصفتين لنقول: لقد قرر القرآن أن الإشفاق صفة للساعين في الخيرات وهم لها سابقون فيقول في سورة المؤمنون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[١٤٠]. وقد نقل لنا أحمد الشرباصي رأي العلماء وتعليقاتهم على هذه الآية: ومن ذلك تعليق الفخر الرازي على هذه الآيات بقوله: «اعلم أنه تعالى لما ذم من تقدم ذكره بقوله: أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات» ثم قال: «بل لا يشعرون» بيّن بعده صفات من يسارع في الخيرات ويشعر بذلك، وهي أربع صفات:

(١٤٠) سورة المؤمنون: ٥٧-٦١

www.mtenback.com

الصفة الأولى: قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ والإشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة وضعف، فمنهم من قال: جمع بينهما للتأكيد، ومنهم من حمل الخشية على العذاب. والمعنى: الذين هم من عذاب ربهم مشفقون.

ومنهم من حمل الإشفاق على أثره وهو الدوام في الطاعة، والمعنى: هم الذين من خشية ربهم دائمون في طاعته، جادّون في طلب مرضاته.

والتحقيق: أن من بلغ في الخشية حد الإشفاق وهو كمال الخشية كان في نهاية الخوف من سخط الله عاجلاً، ومن عقابه آجلاً، فكان في نهاية الاحتراز عن المعاصي».

ثم تحدث الرازي عن الصفة الثانية وهي الإيمان بآيات الله، وعن الصفة الثالثة وهي عدم الاشراك به سبحانه، ثم قال عن الصفة الرابعة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[١٤١].

معناه: يعطون ما أعطوا، فدخل فيه كل حق يلزم إيتاؤه. سواء كان ذلك من حق الله تعالى، كالزكاة، والكفّارة وغيرها، أو من حقوق الآدميين كالودائع والديون وأصناف الإنصاف والعدل.

وبيّن أن ذلك إنما ينفع إذا فعلوه وقلوبهم وجلة، لأن من يقدم على العبادة وهو وجل من تقصيره، وإخلاله بنقصان أو غيره، فإنه يكون لأجل ذلك الوجل مجتهدًا في أن يوفيها حقها في الأداء.

وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة»: أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق، وهو على ذلك يخاف الله تعالى؟!

---

[١٤١] سورة المؤمنون: ٦٠

www.mtenback.com

فقال عليه السلام: «لا يا بنة الصديق، ولكن هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق، وهو على ذلك يخاف الله تعالى».

واعلم أن ترتيب هذه الصفات في نهاية الحُسن، لأن الصفة الأولى دلّت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز عمّا لا ينبغي، والصفة الثانية دلّت على ترك الرياء في الطاعات. والصفة الثالثة دلّت على أن المستجمع لتلك الصفات الثلاث يأتي بالطاعات مع الوجل والخوف من التقصير، وذلك هو نهاية مقامات الصدّيقين.»[١٤٢].

ويرى بعض المفسرين المعاصرين أن في الآيات السابقة إبرازًا لصورة اليقظة والحذر في القلوب المؤمنة، بعد إبراز صورة الغفلة والغمرة في القلوب الضالة. فيسوق في تبيان ذلك: «ومن هنا يبرز أثر الإيمان في القلب، من الحساسية والإرهاف والتحرج، والتطلع إلى الكمال. وحساب العواقب. مهما ينهض بالواجبات والتكاليف.

فهؤلاء المؤمنون يشفقون من ربهم خشيةً وتقوى. ويؤمنون بآياته. ولا يشركون به. وينهضون بواجباتهم وتكاليفهم. ويأتون من الطاعات ما استطاعوا. ولكنهم بعد هذا كلّه ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ لإحساسهم بالتقصير في جنب الله، بعد أن بذلوا جهدهم، وهو في نظرهم قليل.

إن قلب المؤمن يستشعر فضل الله عليه. ويحس آلاءه في كل نَفَس، وفي كل نبضة، فيستقل طاعاته، بجنب آلاء الله ونعمائه. كما يستشعر بكل حواسه جلال الله وعظمته. ويرقب بكل مشاعره يد الله في كل شيء من حوله. ومن ثمّ يشعر بالهيبة، وبالوجل، يشفق أن يلقى الله وهو مقصر في حقه. لم يوفه حق عبادته وطاعته، ولم يقارب أياديه عليه معرفةً وشكرًا.

---

[١٤٢] ينظر الشرباصي: أحمد: موسوعة أخلاق القرآن، ج٤، من ص٣٣ إلى ص٤١.

www.mtenback.com

وهؤلاء هم الذين يسارعون في الخيرات. والذين يسبقون لها فينالون الطليعة بهذه اليقظة والتطلع و العمل و الطاعة. لا أولئك الذين يعيشون في غمرة، ويحسبون لغفلتهم أنهم مقصودون بالنعمة، مرادون بالخير، كالصيد الغافل يستدرج إلى مصرعه بالطعم المغري، ومثل هذا في الناس كثير، يغمرهم الرخاء، وتشغلهم النعمة، ويطغيهم الغنى، ويلهيهم الغرور حتى يلاقوا المصير»[١٤٣].

وإذا كان اهل التفسير المعروف المألوف يسيرون في تبيان «الإشفاق» على ما رأينا من صور، فإن آخرين يسلكون طريقهم الخاص بهم في تصوير هذه الصفة يقول مثلاً: «أمارة الإشفاق من الخشية إطراق السريرة في حال الوقوف بين يدي الله بشواهد الأدب، ومحاذرة بغتات الطرد، لا يستقر بهم قرار لما داخلهم من الرعب، واستولى عليهم من سلطان الهيبة»[١٤٤].

والقرآن الكريم يذكر لنا فضيلة «الإشفاق» من صفات أهل الجنّة المكرمين، حيث يتحدث في سورة المعارج عن المصلين المخلصين المصدقين بيوم الدين، فيقول عنهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾[١٤٥].

وبعد أن يصفهم بحفظ فروجهم وأماناتهم وعهدهم، وأنهم القائمون بشهاداتهم، والمحافظون على صلواتهم، يقول: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾[١٤٦].

وقوله: ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أي خائفون، لأن هذا العذاب لا يأمنه أحد، بل الواجب على كل أحد أن يخافه ويشفق منه. ويشير الرازي إلى أن

---

[١٤٣] الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، انظر: ج٤، ص: ٣٦-٣٧.

[١٤٤] الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ج٤، ص٣٨.

[١٤٥] سورة المعارج: ٢٧.

[١٤٦] سورة المعارج: ٣٥.

www.mtenback.com

«الإشفاق» يكون من أمرين: إما بالخوف من ترك الواجبات، أو الخوف من الإقدام على المحظورات بالكلّية، بل يجوز أن يكون قد وقع منه تقصير في شيء من ذلك، فلا جرم أن يكون خائفًا أبدًا»[١٤٧].

ويتعرض التفسير المعاصر البصير إلى المعاني القرآنية التي تستوحى من قوله تعالى عن «الإشفاق».

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾[١٤٨].

فيصورها بهذا التعبير: «هذه درجة أخرى وراء مجرد التصديق بيوم الدين. درجة الحساسية المرهفة، والرقابة اليقظة، والشعور بالتقصير في جناب الله على كثرة العبادة. والخوف من تقلّب القلب واستحقاقه للعذاب في أية لحظة، والتطلع إلى الله للحماية والوقاية»[١٤٩].

ولقد كان رسول الله ﷺ وهو الذي اصطفاه الله ورعاه دائم الحذر، دائم الخوف من عذاب الله. وكان على يقين أن عمله لا يعصمه ولا يدخله الجنة إلا بفضل من الله ورحمة. وقال لأصحابه: «لن يُدخل الجنة أحدًا عمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلاّ أن يتغمّدني الله برحمته»[١٥٠].

وفي قوله هنا: «إن عذاب ربهم غير مأمون» إيحاء بالحساسية الدائمة التي لا تغفل لحظة، فقد تقع موجبات العذاب في لحظة الغفلة فيحق العذاب، والله لا يطلب من الناس إلا هذه اليقظة وهذه الحساسية، فإذا غلبهم ضعفهم معها، فرحمته واسعة ومغفرته حاضرة، وباب التوبة مفتوح ليس عليه مغاليق، وهذا قوام الأمر في الإسلام،

---

[١٤٧] الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ج٤، ص٣٨.

[١٤٨] سورة المعارج: ٢٧-٢٨.

[١٤٩] الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ج٤، ص٣٩.

[١٥٠] الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ج٤، ص٣٩.

www.mtenback.com

والقلب الموصول بالله يحذر ويرجو، ويخاف ويطمع، وهو مطمئن لرحمة الله على كل حال ». والرحمة هي الصفة الغالبة التي تجسد التعامل الحسن بين الناس.

ويقول القرآن الكريم في سورة الشورى عن الإشفاق يوم القيامة:

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾[١٥١].

فالمؤمنون بالبعث وما بعده من أحكام الآخرة، يكلون أمورهم إلى الله، فلا يتمنون الموت حذر الابتلاء، ولكن إذا ورد الموت لم يكرهوه، وكانوا مستعدين له[١٥٢].

والذين لا يؤمنون بالساعة لا تحس قلوبهم هولها. ولا تقدّر ما ينتظرهم فيها، فلا عجب يستعجلون بها مستهزين، لأنهم محجوبون لا يدركون، وأما الذين آمنوا فهم مستيقنون منها، ومن هنا هم يشفقون ويخافون، وينتظرونها بوجل وخشية، وهم يعرفون ما هي حين تكون، وهي حق.

ويشير القرآن المجيد إلى أن فضيلة «الإشفاق» يجعلها الحق سبحانه سبب النجاة من النار، وسبب الفوز بالنعيم، فيقول في سورة الطور عن المؤمنين وهم في الجنة: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[١٥٣]. فالله تعالى قد أنجاهم، لأنهم عاشوا بين أهليهم في إشفاق من هذا اليوم، وخوف من لقاء ربهم، مع أنهم كانوا بين أهليهم وأحبابهم.

إن فضيلة «الإشفاق» تعلّم صاحبها اليقظة والحذر، والتنبه للواجب مع الحرص على أدائه، والابتعاد عن السوء قدر الإمكان. وتعلمه أن يبذل أقصى ما في وسعه من

---

[١٥١] سورة الشورى: ١٨.

[١٥٢] الشرباصي: الموسوعة، ج٤، ص٤٠.

[١٥٣] سورة الطور: ٢٥-٢٧.

www.mtenback.com

طاعة وقربة، ثم لا يغتر ولا ينخدع، بل يظل على الدوام في خشية من التقصير، وهيبة من الغفلة، وخوف من النسيان، فمهما بذل أو قدّم، يظل خاضعًا لجلال ربه، خاشعًا من هيبته، سائلاً منه العفو والمغفرة والرضوان[١٥٤].

وبعدُ، هي ذي الشفقة والإشفاق كما أرادها الله تعالى في كتابه العزيز، وكما رسخها النبي معنىً ومبنىً، والخوف فيه فعل رحمة وإحساس استرحام، وشعور بالحاجة إلى مرحمة وترحم، والإشفاق يقع - مثله مثل الرحمة - على الذات والأقربين والآخرين من الأبعدين والحيوان والنبات والطبيعة بجماداتها كلها، وهكذا نراها من دلائل الرحمة التي هي أشمل وأوسع وأقوى.

قيمة الرحمة في الحياة الاجتماعية:

إننا إذ نقول الرحمة فإننا نقصدها ومعانيها ومشتقاتها كلّها، ومنها الشفقة، إذ لا يمكن إفراد الشفقة عنها بعد أن تفهمنا العلاقة الشعورية بينهما، والمعنى اللغوي لكل منهما.

فالرحمة إن حلّت في حياة الأفراد سادت المجتمع الفضيلة، لأن الفرد هو اللبنة الأولى في المجتمع، وهي متبادلة الحركة صعودًا ونزولاً، فالفرد الذي يرحم ذاته، سيصل إلى الكفاية والقناعة، فيصدّر شعوره بالرحمة إلى الآخر، وهكذا ترتفع قيمة الرحمة من الأسفل إلى الأعلى، وإذا كانت الرحمة واجبة على الفرد، فالفرد بحاجة إلى مثل يدعّم المثل الإيماني فيه، وهذا المثل يأتي من الحاكم الذي يتوجب أن يكون عدلاً رحيمًا رؤوفًا كما كان الرسول ﷺ، وخلفاؤه، فصلاح الحاكم يعني صلاح الفرد، وصلاح الفرد يعني صلاح المجتمع، وبالتالي فإن صلاح المجتمع يشفّ عن عدالة الحاكم ورحمته بمن ولي عليهم.

---

[١٥٤] الشرباصي: الموسوعة، ج٤، ص٤١-٤١.

www.mtenback.com

وإذا كانت الفاعليات والأنماط الاجتماعية قد تغيرت مع انتهاء أزمنة وابتداء أزمنة، فحريٌّ بنا أن نتدبّر الأمر، لتظل الرحمة قيمة أساسية من قيم مجتمعنا في زماننا المعيش هذا، والأمر الذي نعتزمه يتطلب إجراءات تعقب النيّة الصادرة عن إيماننا بوجوب بقاء الرحمة كأهم الوشائج الرابطة لعلائقنا، الموجهة لعواطفنا، المؤطرة لمشاعرنا وأحاسيسنا إذ الرحمة لا تصح دلائلها إلاّ بممارسة عمل الرحمة مع الآخرين.

فإذا حددنا الفاعليات الموجهة لحركة المجتمع، المؤثرة في حياته، فإننا سنصب جلّ اهتمامنا على هذه الفاعليات، ونصوغها ونوجهها وجهة علائقية إنسانية. وهذا الانتصار لإنسانية الإنسان لا يحدث إلا إذا كانت مفاصل هذه الفاعليات تتحرك ضمن دائرة الرحمة الواسعة بأفراده وجماعاته وفي بيئة صحيحة الإرادة قوية التماسك.

فالقانون هو الناظم للعلاقات الاجتماعية، وعلينا عند صياغته أخذ الرحمة بعين الاعتبار كما جاء في أدبيات الإسلام وتنظيمها للمجتمع الإسلامي، فإذا كانت العلّة صادرة عن أسباب نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، فلتكن الرحمة في المعلوم أساسًا للحكم على مبدأ الرحمة للجميع والشفقة عليهم.

والإعلام له سيادة التوجيه في زمن التقنيات المعاصرة، لذا علينا أن نوجهه وجهة أخلاقية تقدم القيم العربية بإطار عصري مستفيدة من التراث بدءًا من العادات والتقاليد العربية الأصيلة ومرورًا بمفهوم الإسلام وأخذه بمبدأ الرحمة في كل شيء، لأن إقالة العثرة الاجتماعية، هي بحد ذاتها رحمة بالمجتمع، وبناء الفكر الفردي رحمة بالفرد، وتنمية العقل الإنساني رحمة بالكون، والأمر ليس سهلاً كما يبدو لبعضهم، بل يحتاج إلى نية حسنة وفهم للمرامي البعيدة لهذه النية، ووعي شامل ومحايد للتراث، واستيعاب لمتطلبات العصر المعيش، وتخطيط دقيق يأخذ بحسابه النتائج المرجوة وتأثيراتها بالمستقبل لترث الأجيال القادمة هذه القيمة وتستمر حياة المسلم مطمئنة في أفياء الوشائج الرابطة بين الماضي والحاضر والمستقبل.

www.mtenback.com

فسيادة الرحمة قيمة اجتماعية تحافظ على الهوية الفردية نفسيًا، وشعوريًا، وإحساسًا وبالتالي يمنح المجتمع خصائص متفردة تميّزه عن مجتمعات أخرى تسودها الفوضى الأخلاقية نتيجة لغياب القيم، وغياب الرحمة بين أفراده أصلاً، حيث تحل المادة محل الروح وتنتفي العاطفة الرؤوم.

قيمة الرحمة في حياة الفرد:

وسبق أن قلنا إن الفرد هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع، إذًا فالعناية والاهتمام والرعاية، أمور تنصب عليه أساسًا منذ بدء التنشئة التي يجب أن تكون مدروسة ومبرمجة، ومستقاة من تاريخنا وتراثنا وقيمنا وإسلامنا العظيم.

وللفرد على مجتمعه الذي يعيش فيه حق النفقة وحق التربية الصالحة والتعليم النافع والتوجيه والإرشاد والتثقيف، لذا فإن الحكومة العادلة تأخذ بحسابها الفرد، فترعاه، وتقدم له مستلزمات التنشئة.

ومستلزمات التنشئة إذا قامت على أسس قيمة، فإنها ستجعل الفرد مرتبطًا بدينه وتاريخه، وبالتالي يحافظ على ما يرثه من وجود، التراب والعمران والناتج النافع، ليسلمها بدوره إلى من يأتي بعده، وفي تلك الحركة الشمولية رحمة لاشك فيها.

إن المطلوب من الحاضر تأصيل الرحمة في قلوب الأجيال القادمة، عبر وسائل التربية والتعليم والتوجيه عامّة، وذلك برسم المنهج الذي تقوم عليه، فتنمي على هذا الأساس، القانون الذي يتوجب تحديثه كلما أفرز الزمن معطيات جديدة ليواكب العصر ويلمّ بحيثياته، ولا يقصّر عنه، ونعمم عادة القراءة، لأن في الكتاب فوائد، فإنه الأداة العجيبة التي تعبر الدهور والأزمان دون تحديث في آلته، وهو الحامل المطلق للقدرة التي تحتوي على حيوات الأمم في عصورها وأزمنتها المختلفة.

وتوجه الصحافة لأن تكون الإناء الحامل للقيم، وأن نترك للكاتب الحرية في تناول الموضوع، وطريقة تجسيد القيمة ورسمها وتجذيرها وإيصالها إلى الفرد.

www.mtenback.com

كذلك تمدُّ وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بمواد تعرض للخير وتدعو إليه، وتصوّر الشر وتنهى عنه، على أن تترك للعقل الفردي أن يميز السيء من الجيد، بين الخيرِّ والشرير، بين الأخلاقي وغير الأخلاقي، حتى لا تغيب بواعث الرحمة في نفس الإنسان.

أثر الرحمة في التربية وتنشئة الأجيال الجديدة:

والرحمة أساس التربية، لأن الملاحظ أن الجريمة والسرقة والأخطاء الأخرى تحدث عند المشردين الذين لا ينعمون بدفء الحنان في أسرهم، وقد كان الرسول الكريم يعني بتربية الطفل ويحض عليها، ويوصي باليتامى، ويأمر باحتضانهم بناء على ما أمر به الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم.

عن أبي هريرة قال: «أن رسول الله ﷺ قبّل الحسن بن علي، والأقرع بن حابس التميمي جالس عنده، فقال الأقرع بن حابس: يا رسول الله، إن لي عشرة من الولد ماقبّلت أحدًا منهم قط، قال فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «مَنْ لا يَرْحَم لا يُرحَم»[١٥٥].

وبالفعل فقد أثبتت دراسات علماء النفس، أن الطفل الذي لا يلقى الحنان من أبويه، ينشأ فظًا غليظًا قاسيًا لا رحمة في نفسه، وأن الأبوين اللذين لا يرحمان أطفالهما، لم يرحما من أبويهما من قبل عندما كانوا أطفالاً.

والحنان كالدِّين يرتجع عندما يشب الطفل إلىالمدين، وقد أوصى الله سبحانه وتعالى الإنسان بوالديه، لأنه سيلقى نفسها المعاملة التي يعاملهما بها: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾[١٥٦].

---

[١٥٥] البيهقي: أحمد بن الحسين: الآداب، تحقيق أحمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص٤٠-٤١.

[١٥٦] سورة العنكبوت: ٨.

www.mtenback.com

وقد رتب الله العلاقة بين الولد ووالديه، ورسم الخطوط الحمراء التي يحذر عبورها حتى لو كانت تعني خروج الولد عن طاعة والده حين يدعوه إلى ما لايرضاه دينيًا أو خلقيًا فعليه أي الولد معاملة والده بالرحمة والرفق.

هذه هي الرحمة بالوالدين ـــ كما حث عليها الإسلام ـــ أما الرحمة بالأطفال فكان الرسول الكريم يحث الآباء على رعاية أطفالهم والتحنن عليهم، والحدب إليهم ويهدد من لا يفعل ذلك بعقاب الله.

عن عائشة، قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أتقبلون الصبيان فما نقبّلهم؟ فقال الرسول ﷺ: «أوَ أملك أنْ نزع الله من قلبك الرحمة» وحدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه قال: عن أسامة بن زيد، قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسين على فخذه الأيمن، ثم يضمنا، ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»[١٥٧].

كما أوجبت علينا الرحمة المساواة بين الذكر والأنثى وعدم التفريق بينهما، والرحمة بهما سواسية، فمن باب الرحمة بالإناث ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «جاءتني امرأة وضعت ابنتين لها تسألني؟ فلم أجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها فشقتها بين ابنتيها و لم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل عليّ النبي ﷺ فحدثته حديثها، فقال لي النبي: «من ابتُلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كُنّ سترًا له من النار»[١٥٨].

وتلقى الرسول الكريم أمر ربه في رعاية اليتيم ووضعه في ظل أسري رحيم وعدم تشريده، فوجه إلى تربيته وتنشئته رحمة بمستقبله، إذ سيرحم نفسه ومجتمعه، ويكون قدوة لأسرة سيبني عليها ظله من بعد.

---

[١٥٧] البيهقي: الآداب، ص٤١-٤٢.

[١٥٨] البيهقي: الآداب، ص٤٢.

www.mtenback.com

عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وامرأة ذات منصب وجمال آمَت من زوجها، فحبست نفسها على يتاماه حتى بانوا كهاتين يوم القيامة وأومأ بأصبعيه»[١٥٩]. إذن فالمرأة إذا ترمّلت، ومكثت مع أيتامها، بالرغم من مالها وجمالها وإقبال الآخرين عليها، هي بمرتبة مع الرسل، لأنها أفادت مجتمعها بالنسل الصالح، إذ أنشأت منهم رحمة للمجتمع.

وقد ركّز الرسول على الطفولة ووجوب رعايتها وتنشئتها النشأة الصالحة، وذلك إكرامًا لجوهر الإنسان حتى يجعل من تنشئته الجيل بجنسيه تنشئة لمجتمع يعرف حق الطفولة، ومن يعرف حق الطفولة فقد رفرفت الرحمة بنورها فوق ربوعه: ومن أقواله في هذا الصدد: «من كانت له ثلاث بنات، فصبر عليهن، فأطعمهن، وسقاهن، وكساهن من جدّته كُنّ له حجابًا»[١٦٠].

ويؤكد صلوات الله عليه على رعاية الأنثى ووجوب الرحمة بها، فهي نصف المجتمع وصلاحها يعني صلاح المجتمع، إذ يقول: «لا يكون لأحد ثلاثُ بناتٍ، أو ابنتان، أو أختان، فيتّقي الله فيهن، ويُحسن إليهنّ إلا دخلَ الجنة»[١٦١].

كما نهى الرسول الكريم نهيًا قاطعًا عن أذى الأنثى، وحث على رعايتها، وتنشئتها تنشئة صالحة، ووعد من يرعاها ويرأف بها ويحنّ عليها ويرحمها بالجنة بقوله: «من وُلِدت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها، ولم يؤثر عليها وَلَدَه، (يعني الذكور)، أدخله الله بها الجنة»[١٦٢].

وهكذا أعطى الرسول الدرس، فكان أسوة حسنة، وكان مثالاً رائعًا للمربي والموجه، والحنون، والرحيم، فاستفاد منه وأصحابه، فأفادوا بها من استخلفوا عليهم،

---

[١٥٩] البيهقي: الآداب، ص٤٣.

[١٦٠] البيهقي: الآداب، ص٤٦.

[١٦١] البيهقي: الآداب، ص٤٧.

[١٦٢] البيهقي: الآداب، ص٤٨.

www.mtenback.com

وتناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل. وسنقدم هنا مثالاً واحدًا يمثل استفادة أصحاب الرسول من سلوكه التربوي، وكتب التراث حافلة بالأمثلة:

«دخل جندب بن عبد الله على عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنهم) فقال: إن فقدناك ـــ ولا نفقدك ـــ فنبايع الحسن؟

قال: «ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر»، ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصيمًا، وللمظلوم ناصرًا، واعملا بما في كتاب الله، ولا تأخذكما في الله لومة لائم.

ثم نظر إلى محمد بن الحنفية فقال: هل حفظت ما أوصيتُ به أخويك؟ قال: نعم قال فإني أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك، وتزيّن أمرهما، ولا تقطع أمرًا دونهما... ثم قال: أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكم يحبّه، وقال للحسن: أوصيك أي بُنيَّ بتقوى الله وإقامة الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش...»[١٦٣].

إنه درس كامل في التربية، بل هو دروس في درس، يعطي بيانًا أخلاقيًا عن أسس التربية التي يجب أن ننشئ عليها الجيل، فإذا أعدنا قراءة الموعظة التي وجهها الخليفة الرابع إلى أولاده فسنجدها مجموعة من القيم التي يتوجب علينا الوقوف عندها، والتعليق عليها، والاستفادة منها.

---

[١٦٣] ابن الأثير، علي بن أبي محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٤، ص٢٥٧-٢٥٨.

www.mtenback.com

فعليّ رضي الله عنه يوصي بتقوى الله ومن اتقى الله فلا خوف منه ولا عليه، وألا يغتر الإنسان بنفسه، مهما بلغ من القوة والفطنة، فالتواضع حَلّة، وألايتمسك بالدنيا لأنها فانية، والآخرة خير وأبقى، وألا ينظر المرء إلى شيء ليس له، ولا يحرص على شيء عنده، ويوصي أولاده بقول الحق، ويؤكد على رحمة اليتيم لأنها درب إلى الجنة، وبوابة إلى المجتمع، ودعامة من دعائم التقوى، وقيمة من قيم الإسلام، ويوصي بإعانة الضعيف أي مساعدته، ونصره على ضعفه إن كان ضعيفًا معنويًا أو أخلاقيًا أو ماديًا وأن يعملوا لآخرتهم وذلك بالتمسك بمكارم الأخلاق، وأن يقفوا ضد الظالم حتى يرتدع عن ظلمه، وأن ينصروا المظلوم حتى يصل إلى حقه، وأن يتلوا كتاب الله ويتمثلوه، وألا يخافوا قولة الحق وألا يجانبوه.

وعندما شعر رضي الله عنه بأنه أوصل مراده إلى الراشدين من ولده، وأنهما فهما ما أراد، وقد أدى واجبه تجاههما، انتقل إلى الصغير ليعلمه طاعة الكبير، ويفهمه أصول التربية وكيف يتقبلها صغيرًا وكيف يصدّرها كبيرًا، حضّه على احترام الكبير، ووصله، والأخذ بنصيحته ومشورته، واجتناب كل أمر يغضب الخالق كما حضه على التمسك بعروة الإسلام، والقيام بالفروض، وأن يكون نظيف القلب واللسان والسريرة.

وأن يكون رحيمًا حليمًا رؤوفًا غفورًا، وأن يطلب العلم ويوقّر العلماء، ويعلّم الجهلاء، وأن يعي أمور الدنيا كما وعى أمور الدين، وأن يحفظ المحارم، ويحسن الجوار، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يجتنب المكاره، ويكون مع الله، ليكون الله معه.

فعلي رضي الله عنه وهو ينوء بواجبات أناطها به الإسلام،وهي الجهاد، وتأدية الفروض، وحضور المجالس، وتدريس الناس، وهداية الضّالين، ومع كل هذه الأمور فهو لا ينشغل عن ولده، بل يجالسهم، ويلاطفهم، ويتبسط معهم، ويعلمهم الكثير مما تعلمه وهو في أفياء الإسلام منذ انطلاقته الأولى.

www.mtenback.com

إنه يضع تجربته الحياتية كاملة وبمسؤولية الوالد المشفق الرحيم الملتزم أمام ولده على أمل إنشائهم في منشأ طيب يفيد منه أهله ومجتمعه وأهل دينه.

وهذه الدروس يجب أن نأخذها ونجتني العبر من السلف الصالح، لننشئ جيلنا الجديد، وذلك بأن نكرس لهم الجانب الأكبر من تفكيرنا فهم المستقبل، وإذا ما ضمناهم فإننا سنضمن المستقبل بإذن الله. وأجل ذلك أن تكون الرحمة خلقهم.

وهذا يتطلب أن نعنى بالأسرة أولاً، والأسرة من جانبها تتولى مسؤولية الدرس الأول في التربية، فالوالدان هما قدوة الطفل، وعندما يصلح الرأس يصلح الجسد كله، وهذا ما يرتب على الوالدين واجبات كونهما المثال لأطفالهما، فالصدق، وحسن التصرف، والإخلاص في العمل وتأدية الواجبات، كلها أمور تؤثر في نفس الطفل، فهو عندما يفتح عينيه على حقيقة ناصعة ينمو عقله في أجواء طاهرة صافية نقية وسيكون كذلك إذا صقلت أخلاقه الرحمة.

ثم تتسلم المدرسة مسؤولية الدرس الثاني، وهنا تبرز وظيفة المعلم باختيار الدرس والمادة، وإعطاء المثال الجيد لتلميذه، كذلك فإن المنهج الذي يدرس للطفل في مراحل الدراسة الأولية يجب أن يكون مختاراً ملائماً لنفسيته، موائماً لعقله ومداركه، وأن يركزّ على القيم ومكارم الأخلاق، وأن ينفتح على العصر، ويتعلم ما ينفعه ويزيد في معارفه.

وإذا انتقلنا إلى الوسائل المعرفية الأخرى؛ فنجد في وسائل الإعلام والاتصال حصة تدريسية تضاف إلى حصتي الأسرة والمدرسة،وهنا تأتي أدوار الإدارات الإشرافية على هذه الوسائل، من حيث اختيار المادة الموجهة للطفل كتابة مثل (القصة – الطرفة – المسابقة) والأمور الأخرى التي تصنع ثقافة الطفل خارج الأسرة وخارج المدرسة. مثل مشاهدة برامج التلفاز، واختيار القصة أو المسلسل الملائم، والرسم كالعناية بالطبيعة، والبيئة، أو المسرح والسينما، فإنها وسائل تشد الطفل ومنها يأخذ جانباً كبيراً من

www.mtenback.com

ثقافته، أو المسموع عبر المذياع أو آلة التسجيل، وكل هذه الوسائل يجب أن تعلم القيَم وتركز على الرحمة والشفقة كونهما بابي الأخلاق والفضائل كما أن هناك قيمًا اجتماعية كثيرة تعطي معاني الرحمة والشفقة يتوجب علينا إبرازها في الوسائل المختلفة.

إن التربية الحديثة تقول بتركيز القيم في ذهن الناشئة ثم شحذها ثم تحفيزها، وبالتالي فإن تكوّن شخصية الطفل عبر مراحله العمرية المختلفة تخرج هذه القيم إلى مراكز الفاعلية.

والأمة التي تغرس الرحمة في نفوس أبنائها، تضمن المستقبل لهم ولها في الوقت نفسه وتضمن صلاح المجتمع الذي يكون أفراده رحماء بينهم.

أما المصادر التي نحتاج إليها لتكون في متناول الناشئة فعلينا إعادة النظر فيها، وتبسيطها بعد غَرْبَلَتِها وتنقيتها من الشوائب ووضعها في تصرف الناشئة، وما على الراشدين إلا مراقبتهم عن كثب، وعدم الإكثار من التدخل في شؤونهم لئلا تطمس شخصياتهم، أو توأد رغباتهم الخيّرة وتطلعاتهم النبيلة.

وخلاصة ما أردنا قوله هو أن نعمل بطرق حديثة، وتقانات متطورة هي من نتاج عصرنا، وبإمكاننا أن نوجه عطاء هذا الكون في خدمة قيمنا وأخلاقنا، لنحافظ على زهو الماضي، ونفرز الحاضر، ونضمن المستقبل، ومن لا جذر له، لا فرع له، ومن لا ماضي له لا مستقبل له.

إن ما يساعدنا في مقاصدنا التربوية، أننا نمتلك نبع القيم، وهو القرآن الكريم، الذي يعد درسًا تربويًا، خصنا الله سبحانه وتعالى به، فلنعمل بأوامره، ولنسر على هديه، وسنصل إلى بغيتنا بإذن الله، فما أحوج النشء إلى معرفة قيمنا والمحافظة عليها حتى يستقر توازنه الروحي والمعنوي في زمن الانهيارات الخُلقية والأخلاقية، وسننجح في مقاصدنا بإذن الله، ما تمسكنا بإيماننا ومثلنا، وفاخرنا بتاريخنا، وعملنا على تمثل تراثنا

www.mtenback.com

العربي الأصيل، وكرست أخلاقنا وسلوكنا ممارسة الرحمة والرفق في كل أمورنا والله مع الراحمين.

والله مع الساعين إلى الخير حتمًا.. وقبل أن نختم الحديث في الرحمة والشفقة، لابد من ذكر حقيقتين، أولاهما: أننا أبناء أمة وحملة دين من خصائصه الرحمة والشفقة، ومن سماته الحب، وثانيهما: أن الرحمة والشفقة قيمتان متصلتان بقيم كثيرة، لا يجوز إهمالهما، وهما لا تفعلان شيئًا دون تواصل القيم الأخرى وربطهما مع مجمل القِيَم العربية الخالدة وتكامل الصورة المثلى لمكارم الأخلاق العربية.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿يختص برحمته من يشاء... الآية﴾	١٠٥	٣٦
آل عمران	﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء... الآية﴾	٦	٤١
	﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون... الآية﴾	١٣٢	٣٧
	﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا.. الآية﴾	١٥٩	٣٦
النساء	﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام.. الآية﴾	١	٤٢
	﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ... الآية﴾	١٧٥	٣٩
الأنعام	﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة... الآية﴾	٥٤	٣٥، ٤١
	﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة... الآية﴾	١٤٧	٣٦، ٤٠
	﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه.... الآية﴾	١٥٥	٣٧
الأعراف	﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا... الآية﴾	٢٣	٣٧
	﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا... الآية﴾	١٥٥	٣٧
	﴿ورحمتي وسعت كل شيء... الآية﴾	١٥٦	٣٥، ٤١
	﴿هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة... الآية﴾	٢٠٣	٨، ٣٦
التوبة	﴿ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا... الآية﴾	٦١	٣٨
	﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه... الآية﴾	١٢٨	٣٤، ٤٢
يونس	﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء﴾	٢١	٨
يوسف	﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون...الآية﴾	١١١	٨
الرعد	﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض... الآية﴾	٨	٤١
الإسراء	﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة... الآية﴾	٢٤	٣٨
	﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو.... الآية﴾	٥٤	٣٨
	﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن... الآية﴾	١١٠	٧

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
الكهف	﴿أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ... الآية﴾	٨١	٣٨
الأنبياء	﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ... الآية﴾	٢٨	١٠
	﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ..... الآية﴾	٤٩	١١
	﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ... الآية﴾	٧٥	٣٧، ٣٩
	﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ... الآية﴾	٨٣	٣٧
	﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ... الآية﴾	٨٦	٣٩
	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.... الآية﴾	١٠٧	٨، ٣٦
المؤمنون	﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ.... الآية﴾	٥٧-٦١	٦٩
	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ... الآية﴾	٦٠	٧٠
	﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ.... الآية﴾	٧٥	٣٧، ٣٨
	﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ... الآية﴾	١١٨	٣٧
النور	﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي.... الآية﴾	١٤	٣٧
	﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا....الآية﴾	٢١	٣٧
النمل	﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ... الآية﴾	١٩	٣٦
	﴿لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ... الآية﴾	٤٦	٣٨
	﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ... الآية﴾	٧٧	٣٨
القصص	﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾	٧٣	٣٦
العنكبوت	﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا... الآية﴾	٨	٧٨
	﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ... الآية﴾	٢١	٣٨
الأحزاب	﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ... الآية﴾	٦	٤٢
	﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا... الآية﴾	٤٣	٨
غافر	﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا... الآية﴾	٧	٣٦،٣٩،٤٠
الشورى	﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ... الآية﴾	١٨	٧٤

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
الزخرف	﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ... الآية﴾	٣٢	٣٦
الجاثية	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.... الآية﴾	٣٠	٣٩
الفتح	﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ.. الآية﴾	٢٩	٣٨، ٤٠
الطور	﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ... الآية﴾	٢٧-٢٥	٧٤
	﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِـــي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ... الآية﴾	٢٦	١٠
الممتحنة	﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ.... الآية﴾	٣	٤١
الملك	﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ... الآية﴾	٣	٣٦
المعارج	﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ... الآية﴾	٢٨-٢٧	٧٢
	﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ... الآية﴾	٣٥	٧٢
البلد	﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ... الآية﴾	١٧	٨، ٣٨

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«استوصوا بالكهول خيراً، وارحموا الشباب»	٤٧
«أرحم الناس بالعيال...»	٤٤
«ابغوني ضعفاءكم. فإنما تُرزقون وتنصرون بضعفائكم»	٤٧
«أوَ أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة»	٧٩
«أنا رحمة مهداة»	٥٠
«أنا وامرأةٌ ذات منصب وجمال آمت من زوجها...»	٨٠
«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»	٤٥
«إن الله تعالى إذا أراد بالعباد نقمة أمات الأطفال...»	٤٥
«إنما بعثت رحمةً ولم أُبعث لعاناً»	٥٠
«إنما تُنصر هذه الأمة بضعفائها، بدعواتهم وصلاتهم وإخلاصهم»	٤٦
«إن من إجلالي توقير الشيخ من أمتي»	٤٦
«البركة في أكابركم، والخير مع أكابركم»	٤٦
«بينما رجل يمشي بطريق، اشتد به العطش...»	٤٨
«خاب عبد وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر»	٤٤
«خير بيتٍ بيتٌ فيه يتيم يُحْسَن إليه ...»	٤٥
«الراحمون يرحمهم الرحمن...»	٤٤
«رحماء أمتي أوساطها»	٤٤
«عُذّبت امرأةٌ في هرة حبستها...»	٤٩
«لا تُنزع الرحمة إلا من شقي»	٥٠
«لا يرحم الله من لايرحم الناس..»	٤٥
«لا يكون لأحد ثلاثُ بنات، أو ابنتان، أو أختان...»	٨٠

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«لا يابنة الصديق، ولكن هو الرجل...»	٧١
«لن يُدخل الجنة أحداً عمله...»	٧٣
«اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»	٧٩
«ليس منّا مَن لم يوقّر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويُجلّ عالمنا»	٤٧
«ليس منا مَن لم يُجلّ كبيرنا، ولم يَرِقّ لصغيرنا...»	٤٧
«ما أكرم شابّ شيخاً لسنه...»	٤٦
«من ابتُلي من البنات بشيءٍ فأحسن إليهن...»	٧٩
«من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة»	٥٠
«من كانت له ثلاث بنات، فصبر عليهن...»	٨٠
«من لا يَرحم لا يُرحم...»	٤٣
«من لا يرحم مَن في الأرض لا يرحمه مَن في السماء»	٤٣
«من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حقّ كبيرنا، فليس منا»	٤٤
«من وُلِدت له أنثى فلم يئدها ولم يُهنها...»	٨٠
«من كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل...»	٥٠
«والرَّحِم شجنة من الرحمن...»	٤٥
«والشاة إن ترحمها يرحمك الله...»	٤٨
«يا أنس! ارحم الصغير، ووقّر الكبير، تكن من رفقائي»	٤٨
«يا جارية! هذه صفات المؤمنين حقاً...»	٥٣
«يا عائشة! إنه من أُعطي حظه من الرفق فقد...»	٥١
«ياعائشة! عليك بالرفق، فإنه لا يدخل...»	٥١
«ينادي منادٍ في النار...»	٤٨

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ب ـ		
وفي كل	ذنوب	علقمة بن عبدة	٢	٢٠
وأين	جؤوبُها	الكميت	٤	٦٧
ومثلُكَ	صاحبِ	قيس بن الخطيم	١	٦٣
رئمتُ	أُباةِ	أنشد المبرد	٢	٣١
		ـ ث ـ		
عفّ الإزارِ	الإرفاثا	أبو تمام	١	٦٣
		ـ د ـ		
وهل أنا	أرشُدِ	دريد بن الصمّة	٤	٦٥
		ـ ر ـ		
ماذا تقول	ولا شجرُ	الحطيئة	٢	٦٧
فككتَ	جحدرِ	حاتم الطائي	٢	٢٢
		ـ س ـ		
حنّتْ	النواقيسُ	المتلمّس	٦	٦٤
		ـ ع ـ		
أمِنَ المنونِ	يجزعُ	أبوذؤيب الهذلي	٨	٦٥
		ـ ق ـ		
هل أنتِ	فوقي	-	١	٢٧
		ـ ل ـ		
تسعى	لمقتولُ	كعب بن زهير	٩	٦٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
يا ابنة	تسألي	جليلة زوجة كليب	١٥	٢٤
		ـــ م ـــ		
بادرْ	محتشما	أنشد ابن عساكر	٣	٥٨
هلاّ سألتِ	تعلمي	عنترة بن شداد	٣	٦٢
فمَن مُبلغ	مقسمِ	زهير بن أبي سلمى	١٢	٦١
يدعون	الادهم	عنترة بن شداد	٥	٦٣
		ـــ ن ـــ		
أنّى جزَوا	الحسنِ	–	٢	٣١
		ـــ ي ـــ		
وأشقر	ساقيا	مالك بن الريب	٥	٦٦

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«ارجع إن شئت في فوقي»	٢٧
«أرغولها حُوارها تقرّ»	٣٠
«أسعدٌ أم سعيد»	٢٩
أنفك منك وإن كان أجدع»	٢٦
«رأيت أرضاً تتظالم معزاها»	٢٨
«رئمت له بوضيم»	٣٠
«رُبَّ ابنِ عم ليس بابن عمّ»	٢٧
«رب أخٍ لكَ لم تلده أمك»	٢٨
«رب زارعٍ لنفسه، حاصد سواه»	٢٨
«الزيت في العجين لا يضيع»	٢٩
«زُيّن في عين والدٍ ولد»	٢٩
«يدك منك وإن كانت شلاء»	٢٦

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأبشيهي، أبو الفتح:

المستطرف في كل فن مستظرف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٣٧١هـ.

ابن الأثير، أبو الحسن علي:

الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ط١، ج١، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٥م.

الأصفهاني، علي بن الحسين:

الأغاني، دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، طبعة خاصة، إشراف وتحقيق: إبراهيم الأبياري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بلا تاريخ.

بافز، طه:

ملحمة جلجامش.. أوديسة العراق الخالدة، سلسلة الثقافة الشعبية، وزارة الإرشاد، بغداد، العراق، ١٩٦٢م.

بدران، ند. إبراهيم/والخماش، د. سلوى:

دراسات في العقلية العربية، الخرافة، درا الحقيقة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٤م.

البخاري، محمد بن إسماعيل:

الأدب المفرد، تحقيق الجيلاني، فضل الله، المكتبة الإسلامية، حمص، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

www.mtenback.com

البغدادي، عبد القادر:

خزانة الأدب، دار صادر، بيروت، لبنان، نسخة مصورة عن طبعة بولاق بمصر، ١٢٩٩هـ.

البكري، أبي الحسن بن عبد الله:

فتوح اليمن الكبرى، ملحمة سيف بن ذي يزن، مطبعة كرم، دمشق، بلا تاريخ.

البيهقي، أحمد بن الحسين:

الآداب، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

جاد المولى، محمد أحمد ورفاقه:

- أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦١م.

- قصص العرب، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الجزائري، نور الدين:

فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، تحقيق وشرح: د. رضوان الداية ومحمد رضوان، منشورات المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الحطيئة:

الديوان، تحقيق د. نعمان أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

www.mtenback.com

الحموي، ياقوت:

معجم البلدان، ج٥، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

خان، د. محمد عبد المعيد:

الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.

الزوزني، الحسين بن أحمد:

شرح المعلقات السبع، ضبط محمد علي حمد الله، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٦٣م.

الشرباصي، أحمد:

موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

شيخو، الأب لويس:

شعراء النصرانية، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٠م.

ابن عبد ربه:

العقد الفريد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

عبد الباقي، محمد فؤاد:

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، دار الفكر، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

علي، د. فاضل عبد الواحد:

عشتار ومأساة تموز، دار الحرية، بغداد، العراق، ١٩٧٣م.

عويس، د. سيد:

الخلود في التراث الثقافي المصري، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٥٨م.

www.mtenback.com

فيروللو، شارل:

أساطير بابل وكنعان، ترجمة ماجد خير بك، مطبعة الكـــاتب العربـــي، دمشق، ١٩٩٠م، ط١.

كعكو، أحمد حسين:

محاسن الجود والكرم، مكتبة قباء، حلب، سوريا، ط١.

كونتينو، جورج:

الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة وتعليق سليم طـــه التكريـــتي وبرهان عبد التكريتي، دار الحرية، بغداد، العراق، ١٩٥٩م.

مجموعة مؤلفين:

الإدراك، سلسلة في سبيل موسوعة نفسية رقم ١٦، عـــرض وتقديـــم: د. مصطفى غالب، دار الهلال، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

المصطفوي، حسن:

التحقيق في كلمات القرآن الكريم، تهران، ترجمة ونشر كتاب، طهران، إيران، ١٣٩٥هـ.

مطبوعات بلا مؤلف:

ألف ليلة وليلة، ٤ مجلدات، دار المكتبة الحديثة، بيروت، بلا تاريخ.

ابن المقفع:

الأدب الصغير والأدب الكبير، دار صادر، بيروت.

ابن منظور، محمد بن مكرم:

لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

موخينا، فاليريا:

نشأة الشخصية، ترجمة، سليم توما، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٨م.

www.mtenback.com

النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م، ط٣، ج١.

هرسكو فيتز، ميلفيل، ج:

أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، تعريب د. رباح النفاخ، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٣م.

الهندي، علي بن حسام، علاء الدين:

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com